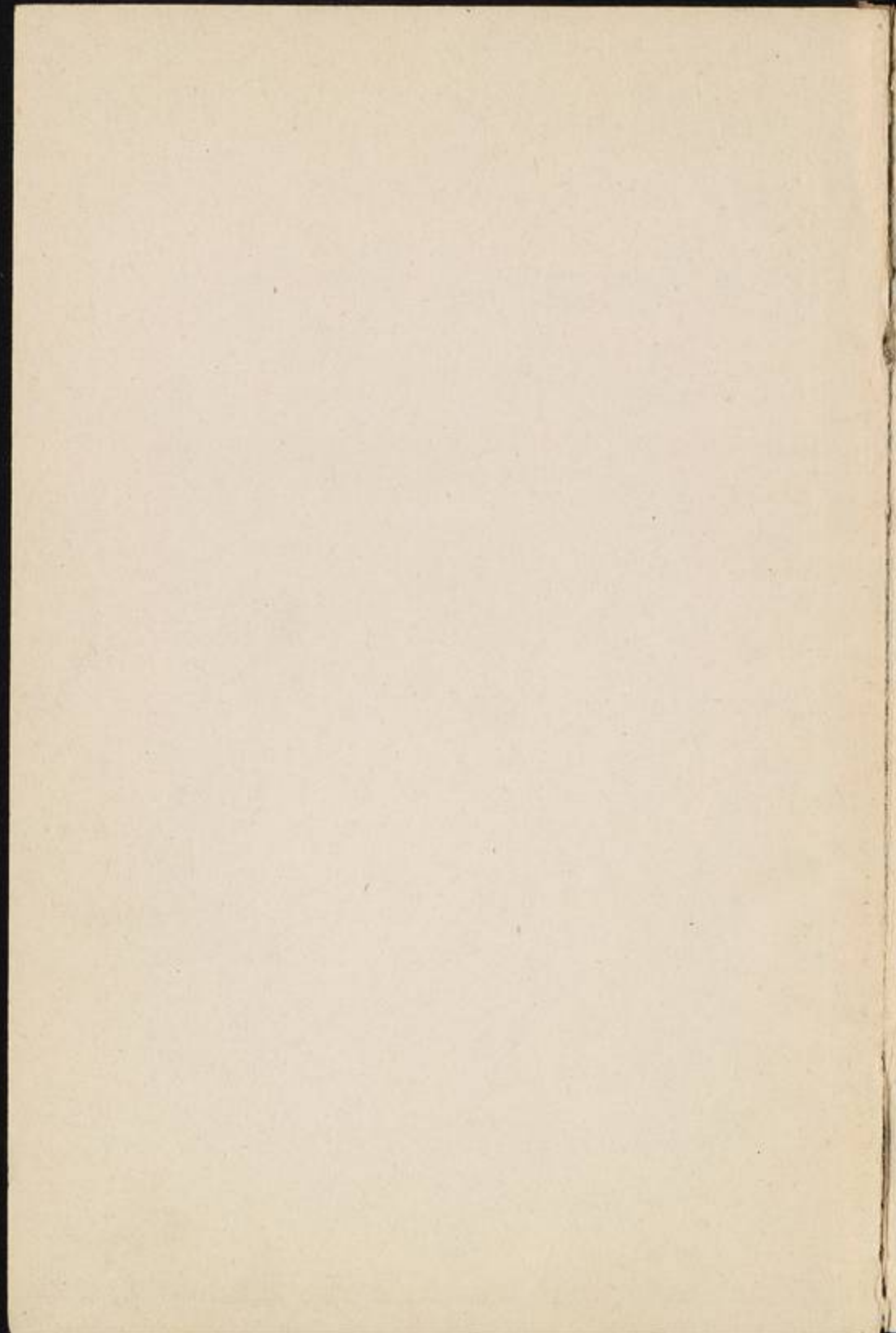


الحسين بن علي

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





3914

مطبوعاً عند المكتبة الإطرية

عني بطبعه ونشره
محمد جمال
صاحب المكتبة الأهلية

PT6 Madany 19/5/45
الحسين بن علي

210 حفيد محمد بن عبد الله
« صلى الله عليه وسلم »

انشاء معتمداً على المصادر العربية ، وبحوث المستشرقين
عمر البوالص

المكتبة الوطنية
للطباعة والنشر
والترجمة والتوثيق

المطبعة الوطنية

893.7H955
DA

45-39141

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت الى ايام خلت احاور نفسي في ما يسعني من الوقت
طال او قصر ، لارسال كلمة تتقدم فصول هذا الكتاب ، اتناول فيها
مواضيعه وبحوثه وفصوله وطريقة تأليفه ووضعه بشي من التفصيل
والابضاح ، ثم بدالي ان لا افعل من هذا شيئاً ، وان اترك
كتابي يسير سبيله بين الناس ، مكوم القواد ، دامي الاطراف
دامع العين ، ممزق العاطفة

ولو انني اردت من ذلك شيئاً لكان حتماً علي ان اتناول
بالبحث والنقد من سبقني من المؤلفين ، وانتظم قبل كتابي من
الكتب والمؤلفات ، وليس هو لاء بالعدد القليل ، وقد ذهب كل
واحد منهم فيما اودع كتابه مذهباً من الفهم والبحث والتحقيق
والاعراب عما يريد ، بلائم الوقت الذي انشأ فيه ، ويمائل الموضوع
الذي اختاره ، ويتقارب مع ذهنيته وعقيدته ونظرة الى هذه

الاحداث التاريخية الغابرة ، نظرة قد تكون قريبة من الحقيقة او بعيدة عنها ؛ او هي الحقيقة كلها ، ولو اردنا ان نعرض لهذا كله ونثلطف في بحثه ونقدّه وتحقيقه لتولينا قارئاً كتابنا بالعناء الكثير ، والنصب الوفير ، ولخرج كتابنا بضرب في غير موضوعه ؛ وبعرض لغير ما انشأ له .

و كتابنا هذا يعرض لتاريخ الامام الحسين عرضاً جديداً ، فيتناول الاسباب التي حدثت بالامام الى المطالبة بالخلافة والتشمير نحو الكوفة ، ثم يتبسط في ذلك تبسطاً اقره المنطق ، وروج له وفرة الاخبار ، وابده العقل ، وكل ذلك في تبويب وتقسيم وتعليق دقيق على الاحداث والوقائع ، مما نحسب انه من الظرافة بالمكان الارفع ، خصوصاً ما عرضنا له من بحوث مستشرقية الفرنجة في هذا الموضوع ، وبذلك خرج كتابنا والحالة هذه ينتظم في جدة نظر انها تصادف التأييد المرغوب عند جبهة القراء ، ومحبي الامام وعشيرته ، وآل بيته ، صلوات الله عليهم اجمعين .

وليس يستطيع المؤرخ ان يعرض للرزء العظيم ومقتل الامام الشهيد دون ما تبسط في الاحداث التي سبقت ، والاسباب

التي تقدمت ، خصوصاً وان ثورة الامام الشهيد على النظام القائم
 وحكم يزيد بن معاوية لم تكن من الامور التي وقعت ارتجالاً ،
 وحدثت دون ما اسباب سابقة لعبت دورها في الترويج لها وتكوينها
 حتى كانت الفاجعة وحصلت الواقعة ، ولذلك رأينا ان نعرض بشيء
 كثير من القصد الى الاسباب التي مكنت لمعاوية في الملك ، وما
 دعاه الى تفضيل يزيد ومبايعته بالولاية من بعده ، وان نصدر ذلك
 بصورة موجزة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ،
 يتفهم معها قاري . كتابنا هذا ، عوامل الخصومة التي انتضحت بين
 الحزبين ، واستطارت بين السياستين ، وكان حقاً عليها ان تمتد الى
 ابناء الرجلين ، وان تشتد الخصومة بين الابناء بمثل ما اشتدت به
 بين الاباء ، وما كان لذلك كله من اسباب ونتائج ومصائر في
 التاريخ والاسلام .

وقد توفرت كل التوفر على ان لا يضطرب كتابي هذا الا
 بما ايده الثقات من المؤرخين ، والمشاهير من المؤلفين ، خصوصاً
 وقد كانت ثورة الامام علي بيزيد ، ثورة الامة على حاكم لا يصلح
 للحكم ، وامام لم يتوفر فيه ما يجب ان يتوفر في المليك الحاكم
 والامام القائم من عدل واخلاق ، وعلم وايمان
 وفي هذا ما يدل على ان الاسلام لا يؤيد الحاكم الطاغية

ولا الامير العاتي ، بل انه ليذهب الى اكثر من هذا ، فيأمر المسلمين
بانكاره وحربه ، فمقام الحكم لا يجب ان يتصل بغير الافاضل من
القوم ، الخالص من البشر ، الذين يقسطون بين الناس ، وقيمون
العدل ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

١٣٥٣

شعبان

١٩٣٤

كانون الاول



مصادر الكتاب

لقد اعتمدنا في وضع هذا الكتاب وانشائه على مصادر كثيرة
نختزى، بذكر اشهرها واهمها:

مصادر فرنجية

يزيد الاول تأليف لامنس

معاوية

تاريخ الخلفاء السرموير

دائرة المعارف الاسلامية

الانكليزية

البرنس كيشاني الايطالي

مصادر عربية

تاريخ ابن الاثير

الطبري

الفخري

اسد الغابة

عصر المأمون

تاريخ الخلفاء الراشدين للنجار

اليعقوبي

مقاتل الطالبين

البلاذري

العقد الفريد

تاريخ ابن عساكر

آل البيت وحقهم في الخلافة

لعل مقتل الامام الشهيد ابي عبد الله الحسين رضي الله عنه من
اكبر الاسباب التي عملت على تبسط فكره الشيع بين جماعات
المسلمين ، فغذتها وقوتها حتى اصبحت ولها من الشأن في مصائر
الاسلام ما هو معروف ومشهور .

وقد ذهب المستشرقون يؤيدون هذه الظاهرة ، واغرف
بعضهم فذهب يقول : «لولا مقتل الحسين عليه السلام لما كان
هناك شعبة في الاسلام» وهو قول ليس بالامكان اقراره خصوصاً
وان فكرة الشيع لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه الصلاة
والسلام ظهرت عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما برحت
قوية بارزة ، حتى مقتل الامام الشهيد ابي عبد الله الحسين ؛ وان
كنا لا ننكر ان مقتل الحسين كان من العوامل الخطيرة في تغذية
النظريّة وتقويتها وتبسطها وانتشارها .

ولقد شغلت مسألة الخلافة رجال الاسلام اول عهدهم بالحكم
والسلطان فاختلفوا فيها وتقطعت آراؤهم ، وذهبوا في تفسيرها
مذاهب لا يتفق واحد مع رفيقه فيما يختص بشأنها وبتعلقها .

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعين خلفه ، واحس المسلمون بعد وفاة الرسول بضرورة اختيار خلف له ، يتولاهم بالنصيحة ، ويرعاهم بالعناية ؛ وينظر في شؤون حربهم وصلاتهم وزكاتهم ويفصل فيما يقع بينهم من خصومات ، وما يستطير من منازعات ، واذا كانوا قد انفقوا على ضرورة اختيار الخلف ، فقد اختلفوا في الخليفة ، فذهب الانصار يريدونه منهم ، وحجتهم في ذلك انهم هم الذين نصروا رسول الله ونصروا دينه ، وكانوا معه على عدوه حتى خضعت له جزيرة العرب ، وقد توفي رسول الله وهو عنهم راض ، وبهم قريرو عين

وكانت حجة المهاجرين انهم اول من آمن به ، وصبروا معه على الاذى ، ولم يستوحشوا لقلة عددهم وهم قومه وعشيرته ، وهم من قريش ، والعرب لا ندين الا لهم ، ولا تقر بعزة ومنعة غير عزتهم ومنعتهم ، فهم اولي بالخلافة من غيرهم ، فلما عرض الانصار ان يكون منهم امير ومن المهاجرين امير ، رفض المهاجرون ذلك واشتد الحوار بين الفريقين في سقيفة بني ساعدة ، حتى تمت البيعة لابي بكر الصديق المهاجر التيمي القريشي .

فلما تمت بيعة الصديق انكر الامام علي بن ابي طالب ذلك ، وقال ان الخلافة يجب ان تكون في بيت رسول الله ، وان اقرب

الناس الى النبي اولى ان يخلفوه ، وان بيت بني هاشم خير من بيت
 ابي بكر ، وان العرب للاولين اطوع ، وقد احتج المهاجرون على
 الانصار في السقيفة بانهم قوم النبي وعشيرته ، قال النبي والحالة
 هذه اولى من غيرهم واحق من سواهم

وشغل المسلمون بالفتح والانتصارات ايام ابي بكر وعمر رضي
 الله عنهما ، فتناسوا امر الخلافة وحق آل البيت بها ، ولم يعرضوا لها ،
 حتى كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو اموي ، وقد
 راح يستعين بالامويين دون غيرهم ، يوليهم المناصب ويفقد عليهم
 العطايا والهبات ، فانكر المسلمون عليه ذلك ، واغرق خصومه في
 انكارهم فحاصروه وقتلوه ، وبايع الناس بالخلافة بعد قتله الامام
 علي رضي الله عنه ، فقوت عندئذ فكرة التشيع لآل البيت ،
 وذهب انصار الامام يقولون : ان الامامة ليست من المصالح العامة
 التي نفوض الى نظر الامة ، ويتمين القائم بها تعييناً باختيار جماعة
 المسلمين واتخاذهم ، بل هي ركن الدين ، وقاعدة الاسلام ، ولا
 يجوز لنبي اغفالها ، ولا تفويضها الى الامة ، بل يجب تعيين الامام
 لهم ، ويكون الامام معصوماً من الكبائر والصغائر ، وان علياً
 رضي الله عنه هو الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وبوردون لذلك نصوصاً كثيرة ، ومن هنا نشأت فكرة الوصية

ولقب الامام علي بالوصي ، بروجون بذلك الى ان رسول الله اوصى
لعلي بالخلافة من بعده وانه والحالة هذه وصي رسول الله .

وهذه النظرية هي التي حملت المسلمين بعد مقتل الامام علي
على البيعة بالخلافة لابنه الحسن رضي الله عنه ، وهي التي حملت الحسين
رضي الله عنه على معاتبة شقيقه الاكبر الحسن لما راح هذا يتنازل
عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان ، وهي التي دعت الحسين بعد ذلك
ان يرفض مبايعة يزيد ، وحملت مسلمي العراق وغيرهم على
دعوتهم اليهم ، يبايعونه ويؤيدونه وينصرونه

ولقد كانت الجماعات الاسلامية بعد موت معاوية تضطرب
في عدة احزاب قوية ، نستطيع ان نسميها ونخصيها : فحزب قد
التف حول بني امية في الشام بناصرهم ، ويريد ان يثبت لهم الملك ،
وثان قد التف حول البيت النبوي من بني هاشم وعلي رأسهم الحسين
ابن علي يدعو الى ان تكون الخلافة لهم ، وثالث ينكر هذه
الاحزاب كلها ويرميها بالكفر ويصفها بالمروق من الدين ؛ ويشيرها
عليها حرباً شعواء ، وهو حزب الخوارج الذين ينكرون ان
تكون الخلافة في قبيلة او شعب دون شعب ، ويريدون ان يكون
الامر كله شورى بين المسلمين ، وكان الجهاديين هذه الجماعات
متصلاً عتيقاً منكر الاثر ، ولا سيما بعد ان مات معاوية وهلك

يزيد، وظهر عبد الله بن الزبير، فقد طغت الثورة الاهلية على المسلمين
فامتشقوا اسياقهم بصوبونها الى صدور بعضهم بعضاً .

وظل الحال على هذا فترة من الزمن ، وفق فيها الامويون
آخر الامر ، الى القضاء على حزب عبد الله بن الزبير فمحوه محوآء ،
وانتصروا على شيعة آل البيت النبوي ، فاضطروها الى معارضة
نظير متى اشتدت ، وتخفى متى اشتد البأس ، ولكنها قائمة على
كل حال ، لما انصارها وشعراؤها ، وخطباؤها ؛ ولم يثبت لبني
امية الا حزب الخوارج مجاهدتم جهاداً عنيفاً ، حتى اذا انتصروا
عليه ، لم يضعف امره الا ريثما يقوى مرة اخرى

وما كان الحسين رضي الله عنه من اولئك الذين يطلبون
الخلافة لما يضطرب فيها من جاه وامجاد ، وانما كان رجلاً نزل عند
رغبة عامة المسلمين لما عرضوا عليه الخلافة وبايعوه ، وقد تقبل
ذلك منهم لما ادرك ان يزيداً بن معاوية غير صالح لها ؛ وليس من
اهلها واربابها ، فمشى عندئذ الى العراق ، بعد ان اغرق اهل
العراق في الكتابة اليه بالمسير اليهم ، والقدم الى امصارهم ،
وبعد ان بايعه من اهل الكوفة عدة آلاف من رجالهم واثرافهم
وكبارهم ، وبعد ان وعدوه النصر والتأييد والمعونة ، ومحاربة العدو ،
والوقوف معه في صعيد واحد ، وما سار اليهم رضي الله عنه الا

بعد ان استوثق من مبايعتهم له ، وبعد ان ارسل رسولا من قبله
 يبحث له الامر ، ويدرس له بواطن الامور ؛ فكتب له رسوله بالقدوم
 مويدا بذلك ما سبق ان وصل له رضي الله عنه من ، كتب البيعة
 ورسائل التأييد والتعزيد

وقد مشى الحسين الى الكوفة يحمل معه اهله وهو لا يريد
 حربا ولا خصومة ، ولو كان يظن انه ملاق حربا ، لما سار باهله
 وعياله ، ولو كان يريد فرقة او اختلافا لظل مكانه في مكة وراح
 يجرس الناس على الفتنة ، ويدفعهم الى الثورة ، وهو ما ذهب يقول
 به بعض المستشرقين

فمسيره والحالة هذه بنفسه وعياله ، وبعض من يثق بهم من
 رجاله بوءيد ما نذهب اليه من انه كان يقصد الكوفة وهو موافق
 الايمان كله ان اهله معه ، وانهم قد بايعوه ، واقسموا ان
 يعضدوه وبوءيدوه ، فلما كان في بعض الطريق وعرف ما طرأ على
 القوم من تبدل واخبر بانهم سيخذلونه ، عرض على خصومه ان
 يعود الى مكة ، وهو يقول :

« اما وقد تركتم معونتنا ونقضتم بيعتكم ، فاني مغادركم
 لانه لا يصح لمثلي ان يحملكم على بيعته حملا ، وبدعوكم الى
 تأييده بالقوة »

وفي هذا ما يدل على رغبة الامام رضي الله عنه بالمسالمة

والبعد عن الفتنة ، ولو كان خصومه مثله سلاماً وبعداً عن الثورة
 وتمزيق الكلمة لا يبدوه في خطته ، وتركوه وشأنه ، ولكنهم
 ارادوها ثورة ، تمزق الامة ، وتطفو على حياتها ، وتعصف بما كانت
 تستمتع به من وحدة وقوة واجداد .



الامام علي بن ابي طالب

- رضي الله عنه -

ذهب بعض المؤرخين بخطأ التقدير ؛ وخطل الاسفاف ؛
 فوسعوا للخلافة بعد الخلفاء الراشدين في صدور الكتب مجالاً ؛
 وذهبوا يروجون الى اتصالها بيني امية ، وغير بني امية ، والخلافة
 في الواقع يجب ان تكون شورى بين الناس لا يتولاها الا من
 توفرت فيه شروط بطمئن لها المسلمون ، فيرتضونه اميراً لهم
 حاكماً عليهم ، يسوسهم بالعدل ، ويتولاهم بالاحسان ، ويحكم بينهم
 بالقسط والحق ، لا ضعيف عنده فيهم ، ولا قوي لديه بينهم ، ثم لا
 تمتد يده الى بيت المال الا في ما يتصل بمصالح الرعية ، ولا يعهد
 بعمل من اعماله لاحد من الناس الا ان يكون صادقاً مخلصاً نزيهاً
 عادلاً ؛ وهذه امور ما توفرت لحكام بني امية الذين كانوا ملوكاً
 توارثوا الملك ولداً عن والد ، وشقيقاً عن شقيق ، وراحوا
 يتوفرون على سياسة لا تتصل بسياسة الخلفاء الراشدين ، ولا تتعلق
 بهم بشيء كثير او قليل ، وكان كبيرهم معاوية ابن ابي سفيان اول

من من لهم هذه السياسة ، واختط لهم هذا السبيل ، ولقد اتقدت
 الخصومة بينه وبين امير المؤمنين علي بن ابي طالب في ما يتصل
 بهذه السياسة المثيرة للحفائظ ، والتي تبسطت لوانها في عهد عثمان
 ابن عفان رضي الله عنه ، يوم نفرت بعض القبائل العربية الى شيء
 من الحزبية كان اخمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده ، ومنع
 الناس عن التحدث بها والعودة اليها ، ذلك انها كانت استغلالاً
 لمرافق الحياة ومظاهر الحكم والسلطان لشيعه دون اخرى ، وفي
 هذا ما يتنافى الوحدة القومية ، والاخوة الاسلامية ، التي ابدها
 القرآن ودعا اليها رسول الله دائماً وابدأ .

وليس من العسير على المؤرخ معرفة الاسباب التي دعت الى
 هذه الخصومة بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي
 سفيان ، ومن السهل الوقوع على الاسباب التي دفعت بعض القبائل العربية
 وبعض الجماعات الى تأييد معاوية دون امير المؤمنين ، وهو الامام
 القائم ، وخليفة المسلمين ، ذلك ان هذه الجماعات التي كانت ترغب
 في الاستمتاع بالحياة واجداد الحكم ، وسلطان الامارة بعد توفر
 الفتوحات الاسلامية ، وتبسطها في المعمور ، وتدفق ثروة الامم
 المغلوبة الى خزائن العرب ، لم تجد في امير المؤمنين علي بن ابي طالب
 تأييداً لرغائبها ، وتشجيعاً لمطامعها ، بل لقد وجدت فيه على
 النقيض من كل هذا ، رجلاً صلب العود ، وحامئاً قوي الشكيمة

يحاول ان يسير في الناس سنة الحق والعدل ، لا يغمط لضعيف حقاً ، ولا يترك لكبير ان يمشي في الارض مرحاً وان يبلغ الجبال طولاً ، وكان هذا شأنه مع بنيه وقرباته ، وانصاره وتقائه ، وخبر شقيقه عقيل معه مشهور معروف ، فقد حاول ان ينال من بيت مال المسلمين ما ليس من حقه ، فابى الامام عليه ذلك ، ففارقة ولحق معاوية فامر له بثلاثمائة الف دينار فقال عقيل عندئذ كلمته المشهورة :
 « ان اخي خير لي في ديني ، ومعاوية خير لي في دنياي »

والواقع ان رجلاً يسير في الناس هذه السيرة ، ليس بعجيب ان لا يلتفت حوله طلاب الاغراض ، واصحاب المطامع ، ومن يريد عرض الدنيا ، ومن البدهة ان ينفروا عنه الى معاوية ، يؤيدونه ويساعدونه ويمجربون معه ، وبنالون من بره وعطفه ومختلف خبراته ما ليس يصل اليهم شيء منه عند امير المؤمنين وخليفة المسلمين

ولقد كان الامام موثلاً دينياً ، وملاذاً للشرعية ومثلاً للورع والاستمسك باحكام الكتاب ، وكان مصدراً خصباً من مصادر الفقه والتشريع ، وكان في حكومته وحروبه على السواء مؤثراً رضى الله - مفضياً شهوات الناس ، قارعاً اطاعها ، وكان عنواناً كاملاً لاسمى صفات الخلق الاسلامي من حيث النجدة والشجاعة لا الخدق والسياسة ، وكان مصلحاً دينياً بكل معاني الكلمة ، يعمل للآخرة قبل الاولى ويعمل لارضاء الله لا ارضاء الناس ، وكان

كما وصفه عدي بن حاتم معاوية « يقول عدلا وبحكم فصلا ، تنفجر
الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهوتها
ويأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة
يحاسب نفسه اذا خلا ، ويقلب كفيه على ما مضى ، يعجبه من
اللباس القصير ، ومن المعاش الخشن ، وكان فينا كاحدنا ؛ كان
يعظم اهل الدين ، ويتحجب الى المساكين ، لا يخاف القوي ظلمه
ولا ييأس الضعيف من عدله ، فاقسم لقد رأيت له ليلة وقد مثل في
محرابه وارخى الليل سرباله وغارت نجومه ودموعه تتحادر على لحيته
وهو يتململ تلملم السليم ويبكي بكاء الحزين فكأنني الآن اسمعه
وهو يقول : « يادنيا ألي تعرضت ام الي اقبلت ؛ غري غيري لا
حان حينك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك »

و كان كذلك مغرماً في التدقيق في محاسبة عماله حتى اغضب
اكثرهم ، وحتى خسر نصرتهم وفي جملتهم مصقلة بن هبيرة الشيباني
وابن عمه عبد الله بن عباس ، بعد ان كان من اكبر نصرائه ،
واغضب ابن الزبير وطلحة ؛ وكان بطوقه ان يضمها اليه ، لم
يكتسب الي جانبه عمرو بن العاص ولم يقبل نصيحة ابن العباس
ولا المغيرة بن شعبه في اقرار معاوية وابن عامر ، وعمال عثمان
على اعمالهم حتى تأتية بيعتهم ويسكن الناس ، ثم يعزل منهم من
يشاء ، فابى وقال :

— لا اداهن في ديني ولا اعطي الدنية في امري
 فقيل له : انزع من شئت واترك معاوية فان في معاوية جرأة
 وهو في اهل الشام يستمع منه ، ولك حججة في اثباته بما كان من عمر
 ابن الخطاب اذ قد ولاه الشام قبلك

فابى وقال : « لا والله لا استعمل معاوية يومين »
 ذلك ان الخيل والحدع لم تكن من مذهبه ، ولم يكن عنده غير مر
 الحق ، ولقد قال يوماً لاصحابه بعد ان اتخنوا في اعدائه :
 « لا تتبعوا مولياً ، ولا تجهزوا على جريح ولا تنهبوا مالا »
 فجعلوا ييرون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع ، فلا
 يعرض له احد ، الا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به والنواب
 التي حاربوا عليها ، فقال بعض اصحابه :
 — يا امير المؤمنين كيف حل لنا قتالهم ، ولم يحل لنا سبيهم
 واماوالم ؟

فقال علي رضي الله عنه : « ليس على الموحدين سبي ولا
 يغنم من اموالم الا ما قاتلوا به وعليه ، فدعوا ما لا تعرفون والزمو
 ما تؤمرون ^(١)

هذا هو الامام الذي ابت رافته وابى دينه ان يمنع اهل

(١) كتاب عصر المأمون

الشام من الماء كما منعوا اثناء منازلهم حتى كاد يهلك جنده عطشاً ، والذي منع شيعته وانصاره من شتم معاوية ضارباً صفحاً عن مثل هذا الترويج في الدعوة السياسية لتأييد خلافة والحظ من ملك منافسه ولما بلغه ان حجر بن عدي وعمرو بن الحق يظهران شتم معاوية ولعن اهل الشام ارسل اليهما ان كفا عما بلغني عنكما فانياه فقالا :
 - يا امير المؤمنين اسنا على الحق وهم على الباطل ؟

قال : « كرهت ان تكونوا شتامين لعائين ، ولكن قولوا اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم على ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي من لهج به »

وكان الى ذلك كله ، شديداً في محاسبة نفسه وعمله ، اما محاسبة نفسه فظاهرة واضحة الوضوح كله ، واما محاسبته عماله فيؤيد ذلك هروب مصقلة بن هبيرة الشيباني منه وانضمامه الى معاوية ومغادرة يزيد بن حجمة التيمي له ، وكان قد استعمله على الري فكسر من خراجها ثلاثين الفا فكتب اليه يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال : « اين ما غلته من المال » قال : « ما اخذت شيئاً » فخفق بالدرة خفقات وجسه ، ووكل به سعداً مولاه ، فهرب منه يزيد الى الشام ، فسوغه معاوية المال فكان ينال من علي ، وبقي بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه العراق

وبعد فهذا ما توفرنا على تقديمه ونصويره من حوادث التاريخ
واحداث الزمن الغابر نقيم به الحجة على نياسة امير المؤمنين مع عماله
واغراقه في محاسبتهم ، واغضابه آل بيته ، في سبيل عقيدته الطاهرة
من شوائب الرياء ، واخلاصه لمن ولي امرهم من المسلمين وغير
المسلمين ، ومن كان هذا شأنه كان خليقاً ان يلي امور المسلمين ،
ويكون امير المؤمنين :



معاوية بن ابي سفيان

ذهب بنو هاشم بشرف النبوة ، وهو امر ليس بطوق العرب ان تصل الى مثله فكان حقاً على زعماء مكة واشرافها ان ينفروا الى محاصمتهم ومحاربتهم ، فلما لم يوقفوا الى ذلك ، انصرف ذوو الرأي والحجى فيهم الى القبول بالامر الواقع والاستمتاع بما في الحياة من ايجاد وسلطان وهي اكثر

وتبسط لمعاوية بن ابي سفيان حكم الشام بعد وفاة اخيه يزيد ابن ابي سفيان ، فذهب ينظم الحكم فيها تنظيمًا ظاهر القوة ، بادي الاغراض ، بعيد المصاير ، وراح يوطد لنفسه السلطان ، ويضم اليه الاطراف والمسالح ويثبت وينفي ، حتى اصبحت الشام - وهي احدى ولايات المملكة الاسلامية لا تكاد ترتبط بمصايرها بمصاير الامصار العربية الاخرى الا بمقدار ، وحتى صارت وهي لا تتصل بالماصمة الا على قدر ، واذا معاوية في الشام ملك البلد ، وحاكم مصر ، وزعيم القبيل .

واطلقت (امية) بصرها في طول الجزيرة ومشارفها وما بعد هذه المشارف والامصار ، فاذا معاوية قد استغلظ امره ، وفشاشانه

اذا ما فات امة ان تذهب بشرف النبوة ، فلن يفوتها الذهب باجماد الدنيا ، وخيرات الارض ، فيطوي رجالها الفيافي الى الشام وينزل بعضهم في امصارها وغورها ، يتصلون بالارض اتصال الرجل المقيم ، ويدلفون الى ما بين هذه العصبية المتنافرة ، يوطنون من حذتها ، ويهدون من روعتها ، ويمكنون لانفسهم وسيدهم ملكاً يظنون انه طويل الامد ، بعيد المدى

وينظر معاوية الى من حوله فاذا بنو كلب ، اشد العرب في مصره ، فيتأهل باحدى فتياتهم تلد له بزيداً ، توطيداً للملكة وتمكيناً لسلطانه ، وتلفظاً لما في ثنايا القدر من مفاجآت واحداث ، وقد كان معاوية من اكثر رجال العرب دهاءً ، وابعدم نظراً واكثرهم للحوادث استمثاراً ، وللمفاجآت حذراً ، وكان على مثل اليقين من انه لن يترك وشأنه في الشام طويلاً ، وانهم لا بد محاسبوه على سياسته ، ومنازعوه في سلطانه ، فكان يتأقن لدفع هذه العوادي - وهي ما تزال في حجب الغيب - بفكر نير ، وحلم وسيع وعقل كثير .

فلما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبويع للامام كرم الله وجهه بالخلافة اوجس معاوية شراً ، وادرك ان الامام ليس بالرجل يترك له مضر الشام يسيره وفاقاً لهواه واغراضه ، وعلم انه لن ينال في عهده ما كان يناله عهد عثمان ، والتقي في روعه ان

الامام سيدفمه عن مصره ، بولي عليه غيره من يثق بهم من اخصائه
ورجاله ؛ فذهب بتوسل بالثورة وبالمطالبة بدم عثمان بن عفان حجة
يحاول بواسطتها التلويح للامام بما لديه من قوة ، وبما ينعم به من
سلطان ، واعلمه كان يريد الانفاق اول الامر ، على ان تترك له
الامارة على الشام ، ويعترف بالخلافة للامام ، فلما ابى الامام الا
خلعه عن مصره ، واقسم لا يوليه بعد ذلك عملاً ، ولا يقود له
جيشاً ، ولا يشهد له مشهداً ، ذهب معاوية يتفق وعمرو بن العاص ،
على النهوض بالثورة ، واجمعا امرهما على المطالبة بدم عثمان ، واتهام
الامام بالاستتقال عن نصرته ، وعلقا قيص عثمان وهو ملطخ بالدم ،
واصابع زوجته نائلة على منبر المسجد في الشام ، وجمعا الناس واخذوا
بالبكاء ، والمزادة بالويل والثبور ، يستميلان بذلك اهل الشام
وغيرهم من عامة العرب وبسطاء المسلمين

وايد معاوية من عنده من الناس ، وبذلوا له الطلب في دم عثمان ،
فاطمان عندئذ الى قوته وراح مما كره امير المؤمنين وغير امير
المؤمنين من خصومه ؛ ويخادعهم ويفرق في البذل والعطاء بشترية
بالمال قبائل العرب ، وكان مسرفاً في ذلك كل الاسراف ، فقد
ذكر (الطبري) حادثة تدل على دهاء معاوية في استخدام المال
لشراء ضمائر ذوي المكانة والنفوذ من معاصريه وغيرهم ، ذكر
ان ابا منازل قال له لما اعطاه سبعين الفاً ، واعطى جماعة من

الزعماء لا تملو مكانتهم مكانته مائة الف: فضحتني في تميم بامعاوية
 اما حسبي بصحيح، او لست ذا سن، او لست مطاعاً في عشيرتي؟
 فقال له معاوية: « بلى »

قال: « فما بالك خسست بي دون القوم »؟

فقال: « اني اشتربت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك
 ورايك في عثمان بن عفان - وكان عثمانيا - »

فقال: « وانا فاشتر مني ديني » فامر له بتمام جائزة القوم
 وكان سياسياً بطبيعته، معطاءً وهوباً بسجيته، وقد صدق
 في صفته ابو الجهم الشاعر حيث قال:

نمى على جوانبه كأننا اذا ملنا نميل على ايننا
 نغلبه لنخبر حالتيه فنخبر منها كرمنا ووليننا
 وان بطوقنا ان نفهم فهما صحيحاً كانت ثورة معاوية بسبب
 قتل عثمان ثورة مصدرها عميق اخلاصه في العثمانية ليجري حكم
 الشرع في قتلة عثمان، ام ثورة مصدرها طموحه الى الملك بغتصبه
 لنفسه؟ ونستطيع ان نفهم ذلك من حوار جرى بينه وبين عائشة
 بنت عثمان، فان التاريخ يحدثنا ان معاوية لما قدم المدينة دخل دار
 عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: « واأبتاه » وبكت فقال معاوية:
 « يا ابنة اخي ان الناس اعطونا واعطيناهم اماناً، واطهرنا لهم حلماً تحت
 غضب، واطهروا لنا طاعة تحتها حقده، ومع كل انسان سيفه، وهو

يرى مكان انصاره ، فان نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى اعطينا
 نكون ام لنا ، ولأن نكوفي بنت عم امير المؤمنين خير من ان
 تكوفي امرأة من عرض المسلمين »

ولسنا نجد تصويراً أدق لسياسة معاوية ، وطريقة حكمه
 من قوله :

لا اضع سيفي حيث بكفيني سوطي ، ولا اضع سوطي حيث
 بكفيني لساني ، ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت »
 قيل : وكيف ذلك ؟

قال : « كنت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها »

فهذا قول يبين حلمه وطول باعه في السياسة وهدوء اعصابه
 اذا جابهته المشكلات او نزلت بساحته الكوارث والمعضلات ،
 ونظير سعة عطفه وحزمه وقسطه ، وقد قال يزيد يوم بويع له على
 عهده فجعل الناس يمدحونه وبقراطونه : « يا امير المؤمنين والله ما
 ندرى انخدع الناس ام يخدعوننا » فقال معاوية : « كل من اردت
 خديعه فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته »

ثم انظر الى مختلف تصرفات معاوية في حياته السياسية وغيرها
 فانك لتتنتع بصدق حكم الشعبي الذي قال فيه : « كان معاوية
 كالجمل الطيب اذا سكنت عنه تقدم واذا رد تأخر »
 ولقد امتاز معاوية الى جانب المامه التام بميول كل من نهبه

علاقة من البشر ، وصادق تقديره مع ثقب بصيرته بنواحي الضعف
 فيهم التي يستطيع التقرب اليهم منها ، امتاز الى جانب هذا كله
 بصفات لها مكانتها السامية في تكوين دهاء ساسة الوقت الحاضر ،
 منها براعته في ايقاع اعدائه في مشكلات لا تقوم لهم من بعدها
 قائمة بافانين طريفة طالما عمد اليها الكثير من ساسة اليوم ، مثل
 ذلك طريفته في ايقاع بطارقة الروم الذين يكيدون للاسلام وذلك
 بمهادنتهم ومكاتبتهم بطريقة مكشوفة لاغراء الملك بهم

ومنها حلمه وفي كتب التاريخ مئات الامثال تروج لحلمه
 وسعة صدره ونضرب لذلك مثلاً ، انه لما الحق معاوية زياداً بابيه
 دخل عليه بنو امية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان بن
 الحكم الاموي فقال له : « يا معاوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت
 بهم علينا قلة وذلة » فاقبل على اخيه مروان وقال : « اخرج عنا
 هذا الخليع » فقال مروان : « والله انه لخليع لا يطاق » فقال معاوية :
 « والله لو لا حلمي وتجاوزي لعلمت انه لا يطاق ألم يبلغني شعره في
 وفي زياد ، ثم قال لمروان اسمعني فقال :

الا بلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بما تأني البدان

انغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زان

ومنها لبافته السياسية وهي غير الحلم لانها من نوع المغالطات
 السياسية ، مثال ذلك ما كان بينه وبين الحسن رضي الله عنه بشأن نزوله عن

الخلافة له ، اذ كتب اليه معاوية كتاباً قيماً جاء فيه :
 « اما بعد فانت اولى بهذا الامر واحق به لقرابتك ... ولو
 علمت انك اضبط له واحوط على حريم هذه الامة واكيد لبابعتك
 فسل ما شئت »

وبعث اليه بصحيفة يضاء محتومة في اسفلها ان اكتب
 فيها ما شئت فكتب الحسن اموالا وضياعاً وامانة لشعبة علي الخ
 ثم ما وفق اليه معاوية من اختيار اكبر دهاء الولاة
 كعمرو بن العاص وزياد بن ابيه والمغيرة بن شعبة ممن عملوا معه
 على توطيد الملك له ، والذين ارنسوا الى حد غير قليل خطوات
 زعيمهم السياسي في شراء الضمائر والمخائلة والكيد والدعاية والحلم
 والشدة ، وهذا زياد المعروف بشدة الوطأة بلغه عن رجل يكنى ابا
 الخير من اهل البأس والنجدة انه يرى رأي الخوارج فدعا فوله
 جند نيسابور وما يليها ورزقه اربعة آلاف درهم كل شهر وجعل
 ثمانته في كل سنة مائة الف فكان ابو الخير يقول : « ما رأيت
 شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين اظهر الجماعة »

وكذلك فعل المغيرة بن شعبة حين حصبه حجر بن عدي وهو
 على المنبر في خطبة الجمعة ، فانه نزل مسرعاً ودخل قصر الامارة
 وبعث الى حجر بخمسة آلاف درهم ترضاه بها ، فقبل للمغيرة :
 « لم فعلت هذا وفيه عليك وهن وغضاضة » ؟

فقال : قد قتلته بها

الى جانب هذه العناصر المكونة لتلك الشخصية البارزة التي اعتمدت في تأسيس ملكها ، على ما اعتمدت عليه من ترضي الاحزاب بالمال وعامة الناس بالطعام واستغلال العصبية العربية والتساهل في اقامة الحدود الدينية اذا دعت الى ذلك طبيعة الاحوال السياسية فان معاوية يصف بنفسه سبب نجاحه على علي بقوله :

« اعنت على علي بن ابي طالب باربع خصال : كان رجلاً لا يكتم سرّاً ، و كنت كتوماً لسريّة ، و كان لا يسمي حتى يفاجئه الامر مفاجأة ، و كنت ابادر الى ذلك ، و كان في اخبث جند و اشدهم خلافاً ، و كنت احب الى قريش منه فنت ما شئت فملله من جامع الي و مفرق عنه »

وبعد - فان السياسة الحديثة قد اباحت لرجالها - في سبيل تحقيق غاياتهم ان يذتهجوا من الوسائل ما يكفل لهم النجاح السياسي ، و يجب علينا ان نثبت ان جلهم ولو انهم بتظاهرون بنفورهم من مدرسة « مكيا فلي » التي نضحى بكل شيء تبريراً للوصول الى الغاية السياسية ، هم في الواقع يأخذون بتعاليمها و يعملون وفاقاً لبرامجها .

و الواقع ان معاوية كان فذاً في ما رسمه لنفسه من طريق للوصول الى اغراضه السياسية ، فقد راح لا يحفل بالنظم الاجتماعية

والاخلاق والفضائل في سبيل غايانه واغراضه وذهب ينتهج من
الوسائل السياسية ما يكفل نجاحه وبوطد امره ، وانه لخليق بنا
وبسوانا الا نعدو بعيداً عن هذه الظاهرة حين نوّرخ معاوية وتتناول
بالبحث عهده وعصره

وانا لنظن انا قد صورنا معاوية بما هو اهله ، واوضحنا ما
كانت عليه هذه الشخصية في مسامرة الناس ، واحتمال الاذى ،
والاعراق في البذل والعتاء والحلم ما كان هذا مفيداً له في سياسته
مساعداً له في حكمه وتعزيز سلطانه

وتقد كان الامام رضى الله عنه يعرف دهاء معاوية وبراعته
في استجلاب الناس اليه ، و كتابه الى زياد بن ابيه حينما كان من
ولاته يوئيد ما كتبه الامام الى زياد بقول :

« اني وليتك ما وليتك وانا اراك له اهلاً ، وقد كانت من
بي سفيان فلتة من امانى الباطل ، وكذب النفس لا توجب لك
ميراثاً ولا تحل له نساء ، وان معاوية ، بأقي الانسان من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام »

وكذلك استقام الامر لمعاوية ، وتوطد ملكه ، وبابعه الناس
وحكم الامبراطورية الاسلامية دهرأ طويلاً ، وبابع لابنه يزيد
في عهده ، وقد التقي في روعه ان الحكم سالم له ، واصل اليه ، وانه

قد وطد له الامر ، و كفاء الشد والترحال ، و ذل له الاعداء ،
 و اخضع له رقب العرب ، و جمع له ما لم يجمعه احد ، فان يزيداً
 و الحالة هذه ليس بملاق خصومة بعده ، و لا بواجد خلافة في عهده ،
 و هو ما اخطأ معاوية في تقديره كل الخطأ ، لان يزيداً لم يكن
 كايه دهاء و براعة ، و حلاً و بديلاً ، و ما كان في الواقع غير فتى لا
 يعرف من امر المسلمين شيئاً و لا يدرك من الادارة امراً ، و ينصرف
 لانوان من اللهو ، و افانين من العبث ، لم يكن من الحق ان
 يستمتع بها ملك من ملوك المسلمين ، و الاسلام ما يزال في اول
 عهده ، و فجر نشأته ، و اذا رضي معاوية و انصار معاوية عن يزيد ؛
 فان العرب لم يكن ليرضيها مثله ؛ و هي ما ترغب في الحكم
 و الملك الا لافضلها رأياً ، و اعرقها نسبا ، و اكثرها تقوى
 و اخلاصاً .

ومشى المرض الى معاوية ، فبعث الى يزيد يقول له في وصيته
 السياسية :

« يا بني انظر اهل الحجاز فانهم اهلك ، اكرم من قدم
 عليك منهم ، و تعاهد من غاب ؛ و انظر اهل العراق فان سألوك ان
 تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فان عزل عامل ، ايسر من ان

يشهر عليك مائة الف سيف ، وانظر اهل الشام فليكونوا بطانتك
وعيتك ، فان مر بك من عدوك شيء ، فانتصر بهم ، فاذا
اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم ، فانهم ان اقاموا بغير بلادهم
تغيرت اخلاقهم ، واني لست اخاف عليك ان ينازعك هذا الامر
الا اربعة نفر من قريش : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ،
وعبد الله بن الزبير ، فاما ابن عمر فانه رجل قد وقفته العبادة ، فاذا
لم يبق احد غيرك بايعك ، واما الحسين بن علي فلن يتركه اهل
العراق حتى يخرجه ، فان خرج وظفرت به فاصفح عنه ، فان له
رحماً ماسة ، وحقاً عظيماً ، وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما الذي يمحتم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب ، فان
امكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فان فعلها بك فظفرت به
فقطعه ارباً ارباً ، واحقن دماء قومك ما استطعت»^(١)

وتوفي معاوية لهلال رجب سنة ستين للهجرة وهو في الخامسة
والسبعين من العمر ، وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر
وسبعة وعشرين يوماً .

«١» ويقال ان بزبداً كان غائباً عند مرض ابيه وموته وان معاوية اخضر
الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة فامرهما ان يوءديا عنه هذه الرسالة الى بزبدا

الحسين بن علي

ولد الحسين بن علي رضي الله عنه لخمس خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة فاسماه الرسول صلى الله عليه وسلم «حسيناً» واقام مع جده رسول الله ، سبع سنين ، ومع ابيه امير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلاثين سنة ، ومع اخيه الحسن سبعاً واربعين ، وكانت مدة خلافته بعد اخيه احدى عشرة سنة وكان الحسين في حياة رسول الله طفلاً ، اقام معه ست سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام

وكان رسول الله كثير العطف عليه وعلى شقيقه الحسن ، محباً لهما برأيهما ، فقد روى احد الصحابة ^(١) قال : خرج علينا رسول الله في احدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً او حسيناً ، فتقدم فوضع الصبي في مكان ثم سجد للصلاة فاطال سجدة الصلاة ، فرفعت رأسي ، فاذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد ، فرجعت الى سجودي ، فلما انتهت الصلاة قيل يا رسول الله : «انك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة اظلمتها ، حتى ظننا انه قد حدث امر ، او انه

(١) تيسير الوصول الى جامع الاصول ج ٣ ص ٨٥

يوحي اليك»

قال : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت

ان اعجله»

ومر رسول الله يوماً على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي فقال :

« ألا تعلمي ان بكاءه بوذيبي . »

وروى الترمذي في سننه عن اسامة بن زيد قال :

« طرقت باب رسول الله ذات ليلة في بعض الحاجة ، فخرج

رسول الله وهو مشتمل على شيء لا ادري ما هو ، فلما فرغت من

حاجتي قلت : « ما هذا الذي انت مشتمل عليه ؟ » فكشفه فاذا

حسن وحسين على وركيه وقال :

« هذان ابناي وابنا ابتي ، اللهم اني احبها فاحبهما ، واحب من

يحبهما»

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يخطب المسلمين

في المسجد ، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان

وبعثران ، فنزل رسول الله عن المنبر فحملهما ووضعها بين يديه ،

ثم قال :

— صدق الله : « انما اموالكم واولادكم فتنة » نظرت الى

هذين الصبيين يمشيان وبعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

وقال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب يحب الحسن والحسين
ويقدمهما على ولده ، ولقد قسم يوماً فاعطى الحسن والحسين كل واحد
منهما عشرة آلاف درهم ، فعائيه ولده وقال :

« قد علمت سبقي في الاسلام وهجرتي ، وانت تفضل علي

هذين الغلامين »

فقال : « ويحك يا عبد الله ، ائتني بجدهما ، وأب مثل
أبيهما ، وأم مثل أمهما وجدة مثل جدتها ، وخال مثل خالهما ، وخالة
مثل خالاتهما وعم مثل عمهما ، وعممة مثل عمتهما : جدهما رسول الله ،
وابوهما علي ، وأمهما فاطمة ، وجدتهما خديجة ، وخالهما ابراهيم ابن
رسول الله ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كاثوم بنات رسول الله
وعمهما جعفر بن ابي طالب ، وعمتهما ام هاني بنت ابي طالب »

وجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عطاء الحسن والحسين
مثل عطاء ابيهما ، فالحقهما بفريضة اهل بيته ، ففرض لكل واحد
منهما خمسة آلاف

وقدم على عمر حلل من اهل اليمن فكسا الناس ، فراحوا في
الحلل وهو بين القبر والنتير جالس لنفسه ، والناس يأتونه فيسلمون
عليه ويدعون ، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة
بتخطين ، وكان بيت فاطمة رضي الله عنها في جوف المسجد ،
ليس عليهما من تلك الخلل شيء ، وعمر قاطب صار بين عينيه ،

ثم قال يخاطب المسامحين :

— والله ما هنأني ما كسوتكم .

قالوا : لم يا امير المؤمنين ؟

فقال : « من اجل هذين الغلامين يتخطيان الناس ليس عليهما
 مما كسوت الناس شيء » ثم كتب لصاحب اليمن : « ان ابعث
 الي مجلتيين لحسن وحسين وعجل »

فبعث اليه مجلتيين فكساهما ، فلما كساهما قال :

« الآن طابت نفسي »

ويذكر ابن خلدون وغيره من المؤرخين وجود الحسن
 والحسين في الجيش الذي راح بغزو افريقية بعد فتح مصر ؛
 وانهما دخلا المغرب الاقصى وجماعة من الصحابة مع الجيش
 الاسلامي الذي كان يقتحم تلك الامصار في خلافة عثمان بن
 عفان رضي الله عنه .

وروى الطبري في تاريخ الامم والملوك انها كانا مع الجيش
 الذي غزا طبرستان ، وفي هذا ما يدل القاري على ان الحسن
 والحسين رضي الله عنهما كانا بدودان دائما عن الدين والاسلام ، وانها
 كانا يعرضان صدرهما للرماح في سبيل تعزيز الدين ورفع

رايات الاسلام في كل مصر وقصر .

فلما ابتدأت الفتنة في الاسلام عهد عثمان بن عفان ، واخذ
الناس بنقمون على الخليفة اموراً كثيرة ، منها ايثاره بني امية في
الوظائف والبذل وغير ذلك ؛ ولما راح بعض المسلمين يصبون
عثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد كان الحسين بن علي عليه
السلام بين الذين راحوا يدافعون عن الخليفة في جمع من الصحابة
كما ان الامام كرم الله وجهه ، لما حصر الناس عثمان في داره ومنعوه
الماء وارادوا قتله ، بعث اليه بثلاث قرب من الماء ، وانفذ ولديه
الحسن والحسين ومواليه ومعهم السلاح الى بابه لتصرته ؛ وامرهم ان
يمنعوه من الناس وقال لهما :

— اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا احداً

يصل اليه بمكروه .

وبعث الزبير بن العوام ، ابنه علي كره ، وارسل طلحة
ابنه كذلك ؛ وانفذ عدة من اصحاب رسول الله ، ابناهم
ليمنعوا الناس ان يدخلوا على عثمان ، ارسلهم آباؤهم اقتداء بالامام
وابنيه .

واشرف عثمان بن عفان من أعلى القصر فخطب الناس ،

فاستقبلوه بما لا يستقبل به مثله ، ورموه بالنهائم ، حتى خضب

الحسن بن علي بالدماء على بابه ، وخشي التاقون على عثمان ان يغضب
 بنو هاشم لجمال الحسن والحسين فيثيرونها فنته ، فاخذ محمد بن ابي
 بكر بيدي رجلين من اعوانه وتسوروا الجدار ، ودخلوا على عثمان
 وليس معه الا امرأته ، والمصحف في حجره ، فصرعه محمد بن ابي
 بكر وقعد على صدره واخذ بلحيته فقال له عثمان :

— ارسل لحيتي يا ابن اخي ، لوراك ابوك لساءه
 مكانك هذا .

فخجل محمد بن ابي بكر وخرج عنه ، ثم دخل عليه بعضهم
 فبحر حوه وقتلوه ، وخرجوا هاربين ، وصاحت امرأته بالناس : ان
 امير المؤمنين قد قتل .

فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مقتولا
 فاكبوا عليه ليكون ، وبلغ الخبر الامام علي ، وطلحة والزبير
 وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا حتى دخلوا على عثمان ، فاسترجعوا
 وبكوا ، وقال الامام لابنيه :

— كيف قتل امير المؤمنين وانتم على الباب ؟

وكان غضب الامام عظيماً لم يتأخر معه عن ضرب ابنيه الحسن
 والحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، ثم خرج من
 المنزل ، وهو اشد ما يكون غيظاً وغضباً .

ولقد اقام الحسين مع ابيه امير المؤمنين علي بن ابي طالب
مدة خلافته ، وشهد معه الجمل وصفين وقاتل الخوارج حتى قتل
الامام عليه السلام شهيداً

وكان الحسين رضي الله عنه باسلاً قوياً جريئاً ، برز يوماً
للعدي في احدى المعارك ، فنادى هل من مبارز ؟ فاقبل عليه رجل
اسمه الزبيرقان و كان شديد البأس فقال له : من انت ؟

فقال : انا الحسين بن علي

فقال له الزبيرقان : انصرف يا بني ، فاني والله لقد نظرت الى
رسول الله مقبلاً من ناحية قباء على ناقة حمراء ، وانت يومئذ قدماه
فما كنت لالتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدمك .
ويذهب بعض المؤرخين الى ان الرجل الذي برز للحسين
غير الزبيرقان ، وانها اتفاقاً بعد ذلك على الانصراف الواحد عن
الآخر .

فلما ضرب الامام عليه السلام دخل منزله فاعترته غشية ثم افاق
فدعا الحسن والحسين فقال :

« اوصيكم بتقوى الله وان لا تبغوا الدنيا وان بفتكم ، ولا
تأسفا على شيء منها زوي عنكم ، اعمال الخير ، وكونا للظالم خصماً
والمظلوم عوناً .

«يا بني عبدالمطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً
تقولون قتل امير المؤمنين ، لا تقتلن بي الا قتالي ، انظروا اذا انا
مت من ضربته هذه فاخر بوه ضربة بضربة ، ولا تمثلوا بالرجل
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اياكم والمثلة ولو
بالكاب العقور »

ثم دعا محمداً بن الحنفية فقال له : اما سمعت ما وصيت بك اخويك ؟
قال : بلى

قال : فاني اوصيك به ، وعليك بير اخويك وتوقيرها ومعرفة
فضلها ولا تقطع امرآ دونها

ثم اقبل عليهما فقال : « اوصيكما به خيراً ، فانه شقيقكما وابن
ايسكما ، وانتما تعلمان ان اباكما كان يحبه فاجباه »

ومضى علي بن ابي طالب شهيداً الى الملاء الاعلى ، ضربه
بسيف مسموم عبد الرحمن بن ملجم عليه لعنة الله ، ليلة التاسع عشر
من رمضان سنة اربعين وتوفي ليلة الحادي والعشرين منه ، ودفن
قبل طلوع الفجر ، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنوه عليهم
السلام ، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه .

ونفذ حكم القتل في القاتل وفاقاً لما امر به الامام كما اجمع على

ذلك ثقة المؤرخين .

وبايع الناس بالخلافة للحسن بن علي ، فتحرك عندئذ معاوية بن ابي سفيان نحو العراق ، ومشى امير المؤمنين الحسن نحو الشام ؛ ثم وجد من خذلان اصحابه له وتقاعسهم عن نصرته ما زهده في الخلافة ، فرغب في الصلح وكتب الى معاوية بذلك واشترط عليه ان لا يأخذ اجداً من اهل العراق يا حنه ، وان يؤمن الاسود والاحمر ، ويحتمل ما يكون من هفواتهم ، واشترط اموراً غير هذه لم يف له معاوية الا ببعضها

ولم يرض موقف الحسن عليه السلام بنو هاشم وانغضب شقيقه الحسين ، فقال له : « انشدك الله ان لا تصدق احدوثة معاوية »

وراح عليه السلام يبحث شقيقه على القتال ويورغه في رفض الصلح ، ولكن الحسن كان في موقف كثير الاضطراب ، فانه لم يكن يأمل خيراً من شيعته وانصاره وجنده ، ففضل الصلح على امر ليس هو على يقين من نجاحه وفلاحه

* * *

واقدم استتب الملك لمعاوية بعد تنازل الحسن عليه السلام عن الخلافة ، وهو ملك ما استتب له الا بالسيف والمخاضلة والحيلة ، وبعد ان دامت الفتن في الاسلام دهرآ وقتل من المسلمين

عدد كثير

وليس يهمننا ان نعرض في كتابنا هذا الموقف معاوية وتاريخه
 واعماله وافعاله ، ولكن الذي بنكر عليه ، انه ثار على امير
 المؤمنين علي بن ابي طالب وهو الامام القائم ، وصاحب الحق
 الواجب ، وتكر اغراقه في البذل والعطاء من الخزانة العامة تعزيراً
 لسياسته وتوطيداً للملكة ، وتنكبه عن منهج الخلفاء الراشدين ،
 ثم ما توفر على اقراره من اساليب سياسية ذهبت بالخلافة والشورى
 وراحت تقيم حكومة وملكاً عضواً ليس من الاسلام في شيء ،
 ولادعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اقره ، بل ترك الامر
 لجماعة المسلمين ليختاروا اصلحهم وارشدهم واوفرهم على تحمل اعباء
 الحكم ، والقيام بالحق والعدل

اما مبايعته ليزيد في حياته ، وهو من يعلم معاوية من الخفة
 والمجون والولع بالاشربة ، فهذا باعتقادي من اكبر المصائب التي
 نزلت بالاسلام في فترة من الزمن كان من حق الامام القائم فيها
 على المسلمين ان يولي عليهم اكثرهم خيراً ، واصلحهم حالاً ،
 واقدرهم واقواهم .

والملك يد الله بوثيه من يشاء من عباده ، وما كان لمخلوق
 ان يهد لابنه الملك من بعده الا بامر الله ، وقد رأينا مصير هذا
 الملك الذي راح يوطده معاوية لابنه يزيد ، وبعمل المستحيل

لا ثباته والتمسكين له بين الناس وفي البلاد ، فقد اراد امرأ واراد
الله غيره ، فكان من سقوط هذا الملك وتمزق شمله بعد سنوات
لا تزيد عن اصابع اليد الواحدة ما هو مسطور في صفحات التاريخ
واذا بنو حرب خلفاء معاوية بنقرهمون من بعده ، فلا تقوم لهم
قائمة ، ولا يفسو لهم سلطان ، ولا يثبت لهم ملك .



يزيد بن معاوية

افاق يزيد بن معاوية ذات يوم من خماره فاذا به مليكاً على المسلمين ، وافاق المسامون فاذا الذي يلي امرهم لا يتسم بما يجب ان يتسم به صاحب الامر من وفير خلق ، ورفيع صفات ، وجميل احدثة ، واذا بينهم ، وفي مختلف امصارهم وبلدانهم رجالاتهم احق منه بالحكم ، وأولى بالسلطان ، واكثر بلاء في سبيل الاسلام ، وابتعد اثراً ، هذا الى جلالة واحدهم وسنه ، وموضعه من العلم ، وشريف نسه ، وعظيم مقامه .

ولقد احس المسلمون يوم ولي يزيد الملك واستوى على عرش امية ، بشيء من الانقباض والقلق ، واستحوذ على رجالهم وجماعاتهم الوان من الدهول والانكار ، فقد كان ليزيد عهد معاوية شهرة طائفة ، وميل ظاهر الى العيب واللغو والاشربة والمرح ، وكان الناس يحسبون ان معاوية سيعدل عنه الى سواء من رجالات العرب او يترك الامر للمسلمين ؛ يولون عليهم من يختارونه من رجالهم وعظماهم وذوي الحجى والمعرفة فيهم ، ولكن معاوية ابى الا ان يصيرها ملكاً عضوضاً ، وابى الا ان يستيرها بين الناس عرشاً يضطرب

تحت ابنه وحفدته من بعده ، ولو انه اختار لحكم المسلمين غير
 يزيد من بنيه وغير بنيه لكان الشر هيناً ، والقضاء سهلاً محمولاً ،
 ولكنه اراد العرش ليزيد ، ومن اعز عليه من يزيد ؟ ويزيد شاب
 ظاهر العبث ؛ باذي المرح ، ليس حميد الامر ، حسن المروءة ،
 عفيف المظهر ، والمسلمون يريدون للولاية رجلاً اكرم خلقاً ، واطهر
 مظهرآ ؛ واعظم بلاء ، واصدق قولاً وامضى امراً ، وكان من حق
 الملك الراحل على الاسلام والمسلمين ان يختار للولاية رجلاً من
 خيارهم واقرباءهم ، وان ينتخب لهم افضلهم واصالحهم وهذا واجب
 مفروض على الولاة وغير الولاة من الذين يلون امور الناس ،
 ويقضون بينهم ، ويتولون مقام صاحب الامر والنهي في امصارهم
 وبلدانهم .

وانه يقع في روع المؤرخ المعاصر ، وهو يساير هذه الماضيات
 من الايام ، وبطاق بصره الى ما وراء الحجب ، وما خلف الستار ،
 يتعرف على احوال المملكة الاسلامية في ذلك العهد ، ان يصيب
 الغرض ويقع على الحقائق ، ويتوفر له العلم بما كانت تضطرب به
 النفوس في عواصم المملكة الاسلامية من قلق واضطراب ، وما
 شمل معالمها او اخر رجب من السنة الستين للهجرة من انقباض وذعر
 لما هلك معاوية وولي يزيد ؛ وما كانت تستشعر به النفوس من بوادر
 الفتنة ، واندلاع الثورة ، وانقطاع الرجاء

ولقد ولي يزيد امور المسلمين فاستقامت ولايته سنوات قصيرة ،
 احدث في خلالها امورا ليس من المسلمين إلا من هو كاره لها فاقم
 عليها ، وبجسبك هذه الارزاء الثلاثة تنتضح مدة حكمه ، ونظهر
 في عصره ، ونستقيم جميعها في زمنه ، من استباحته حتى المدينة المنورة
 ومحاصرة مكة المكرمة ، فقتل الامام الشهيد الحسين بن علي رضي
 الله عنه ، وواحد من هذه الارزاء ينتظم في زمن ملك من الملوك ،
 يكفي لذهابه بعمرة الزمن ونقمة الاجيال

ولقد حاول مستشرقو الفرنجة في كثير من البراعة والبيان ،
 وما يزالون يحاولون ، الانتصاف ليزيد بن معاوية والتلويح الى حلمه
 وادبه وعلمه وسياسته ولباقته ، وغير ذلك من الفضائل التي انكرها
 عليه مؤرخو العرب ، وكان اكثرهم حرارة في ذلك الاب لا منس
 اليسوعي الذي افرد ايزيد كتابا خاصا جمع فيه كل شاردة وواردة
 مما يتصل بحكمه وبتعلق بعهدده ، وذهب بخرجه للناس في صورة اقل
 ما يقال فيها انها طريفة جذابة محببة .

ويذهب غيره من المستشرقين الى القول بان يزيدا قدا كتوى
 بنار الاعصر الخالية ، وخطيئات معاوية وغيره من رجال امية ،
 وان الثورة الفكرية التي كانت تضطرم في الصدور ، ونضطرب
 في الافئدة قد وجدت لها مخرجا في عهده ، فذهبت تجرف ما في

طريقها من اخضر وباس ، وراحت نصب غضبها عليه ، فهو والحالة
 هذه يكفر عن خطيئات سلفت ، واخطاء سبقت ، ونقمة جاشت
 في الصدور ، واضطربت بين الناس والجماعات ، في مختلف امصار
 العربية الاسلامية .

وليس يهنا ان نعرض لهذا الرأي بالنقد والتحليل ، خصوصاً
 وان كتابنا هذا لا يعرض ليزيد خاصة ولا يتناول عصره بالوصف
 والتاريخ ، وانما يعرض لناحية في عهده ، وفترة من زمنه ؛ ولكن
 اغراق المستشرقين لا ينكر ، ونصفتهم ليزيد مملوءة بالمبالغة ، بعيدة
 كل البعد عن الحقيقة الواقعة ، فقد اظهر يزيد اول عهده بالملك انه
 بعيد عن اللباقة السياسية ، وانه كثير الحدة ، شديد التورط ، لم يوفق
 الى اختيار عماله في مختلف الامصار ، ولم يوصهم بالتربث والتؤدة
 واخذ الناس بالرأفة والاحسان ، فهو والحالة هذه مسؤول عن عصره
 وعهده وعماله ، وما كان بطوق عبد الله بن زياد وغيره من العمال
 ان يخرجوا عن رأي مليكهم لو افضى اليهم امره بالحسنى والتلطف
 في معاملة الناقمين والفاضين ، خصوصاً وان الثورة لم تكن نائرة
 قوية ، ولا جارفة قاصمة ، فتجريده لسيف النقمة والعدوان ،
 واطلاقه العنان انوابه وعماله وقواده باخذ الناس بالسيف خطيئة لا
 تغفر ، وسياسة اضرت بالدولة الاسلامية اول عهدها في العمران

والتوسع في الارض والامصار

وكان مولد يزيد ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة خمس
 اوست وعشرين ، وكان ضخماً كثير اللحم كثير الشعر ، بويع
 له بالامر يوم مات معاوية باستخلافه له ، فلم يكن له همة حين
 ولي الائمة النفر الذين ابوا على معاوية الاجابة الى بيئته ، والفراع
 من امرهم ، فكتب الى الوليد بن عتبة عامله على المدينة يقول :
 « اما بعد فان معاوية كان عبداً من عباد الله كرمه الله
 واستخلفه وخوله ومكّن له ، فعاش بقدر ، ومات باجل ، وفرحه الله
 قد عاش محموداً ومات ، برأ نقياً »
 ثم كتب في كتاب آخر :

« اما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير بالبيعة
 اخذاً شديداً ، ليست فيه رخصة حتى يابعوا والسلام »
 فلما اتى الوليد نعي معاوية ، بعث الى مروان بن الحكم ، وكان
 على المدينة قبل الوليد يستشيره في الامر ، فاشار عليه بان يبعث
 الساعة الى هؤلاء النفر فيدعوهم الى البيعة ، وزاد على ذلك قائلاً :
 « اما ابن عمر فلا راه يوى القتال ، ولكن عليك بالمسكين وعبد
 الله بن الزبير فابعث اليهما فان بايعا والا فاضرب اعناقهما »

فارسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو اذ ذلك غلام

حدث ، الى الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير يدعوها اليه فوجدها
في المسجد فامراه بالانصراف ، وقام الحسين ومعه جماعة من اصحابه
فمشى بهم الى الوليد ، وقال لهم :

— اذا دخلت فاجلسوا على الباب ، وان دعوتكم او سمعتم
صوتي قد علا فافتحوا علي باجمعكم ، والا فلا تبحروا حتى اخرج
اليكم .

ودخل عليه السلام على الوليد ومروان عنده ، فاقرأه الوليد
كتاب يزيد ونعى اليه معاوية ، فقال عليه السلام : « انا لله وانا اليه
راجعون ورحم الله معاوية ، اما البيعة فان مثلي لا يعطي بيعته سراً
فاذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا معهم فكان الامر
واحداً » .

فلما انصرف عليه السلام قال مروان للوليد :

— عصيتني والله ، لا قدرت منه على مثلها ابدأ حتى تكسر القنطرة
بينكم وبينه .

قال الوليد : ويحك انشير علي بقتل الحسين ، والله ان الذي
يجاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله .
واتى الحسين منزله فاقام فيه تلك الليلة ، وهي ليلة السبت لثلاث
بقيين من رجب سنة ٦٠ من الهجرة ، وشغل الوليد عنه بمراسلة ابن
الزبير في البيعة ليزيد ، ولكن هذا خرج من ليلته من المدينة الى

مكة ، فلما أصبح الوليد سرح الرسل في اثره فلم يدركوه ، وخرج
الحسين ليلة الاحد الى مكة ، ايضاً بينه واخوته وبني اخيه وجل
اهل بيته ، الا محمد بن الحنفية ، وبعث الوليد الى عبد الله بن عمر ،
بعد خروج الحسين وابن الزبير فبايع يزيد ، وفعل مثل ذلك ابن عباس .
ودخل الحسين مكة ليلة الجمعة لثلاث مضي من شعبان ، ونزل
شعب علي ، فاقبل اهل مكة ، ومن كان بها من المعتزيين واهل
الآفاق ، يختلفون اليه ويحتمعون عنده وتروكوا ابن الزبير وكانوا
قبل ذلك يتحفلون به ، فلزم ابن الزبير جانب الكعبة ، وكان
يطوف ويأتي الحسين في صباح اليوم ومساءه .



كتب ورسل من الكوفة

لقد كانت العلاقات بين الحسين رضي الله عنه وشيعته في العراق قوية دائماً وابدأ ، فكانت الشيعة تبعث اليه في الفترة بعد الفترة بالكتاب تلو الكتاب ، تدعوه فيه الى الثورة على معاوية والقدم اليهم بويدونه ويدافعون عنه ويقاتلون في سبيله ، وكانت الرسل تمشي اليه في حياة الحسن شقيقه الاكبر وبعد وفاته ، فكان جوابه رضي الله عنه واحداً ، ينصح فيه شيعته بضرورة التريث والانتظار ، لانه وقد وعد معاوية بان لا يحرك ساكناً في حياته ، فهو والحالة هذه بار بوعدة ، منفذ لقسمه ، و كان عمال معاوية في المدينة ينقلون الى ملبسكهم ما ينقل اليهم من هذه الاخبار والشوائع ويصورون الحسين متهاقاً على الثورة ، يحاولون اثارة معاوية على الحسين وقطع العطاء عنه ، وهو ما كان يستحق له من بيت المال ، فكان معاوية بأمرهم بان لا يعرضوا للحسين بشيء ، وان يتركوه وشأنه و كان الى ذلك كله يبعث له بعطاء في اوقانه المعينة ، و كان عطاء الحسين رضي الله عنه يبلغ المليون درهم في السنة الواحدة^(١)

(١) البلاذري والعقد الفريد

ولكن احد عمال معاوية وهو الوليد بن عتبة ذهب يحاول
قطع العلاقات بين الحسين وشيعته ، ولا ندرى اذا كان هذا بأمر
من معاوية ، فلما انكر الحسين ذلك من العامل قال له هذا :

— ليت حلمنا عنك لا يدعوا جهل غيرنا اليك !!

وكان الوليد والياً محبباً ، وقد ذكر عنه ابن عباس « انه لما ولي
على المدينة لم يترك عائياً الا اطلقه ، ولا غارماً الا ادى عنه »
واذا كانت هذه صفة الوليد ، فقد يكون غرضه مما حاوله
من قطع العلاقات بين الحسين وانصاره ان لا بدع لمعاوية سبيلاً الى
النقمة عليه . . .

وكان اشد الشيعة حرارة ورغبة في الثورة ، شيعة الكوفة ،
فانهم لما علموا بوفاة معاوية وامتناع الحسين عن بيعة يزيد ، ونزوله
مكة ، اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي ، فخطبهم سليمان
قائلاً : « ان حسيناً قد خرج الى مكة ، وانتم شيعته وشيعة ابيه ،
فان كنتم تعلمون انكم ناصره ومجاهدو عدوه ، فاكتبوا اليه ، وان
خفتم الفشل والوهن فلا تغروه »

قالوا : لا بل نقاتل عدوه ونقتل انفسنا دونه

ثم اجمعوا امرهم على ارسال الكتاب الآتي اليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي امير المؤمنين (عليه

السلام) من سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن

شداد وحبيب بن مظاهر وعبد الله بن وال وشيعته من المؤمنين، سلام
الله عليك ، اما بعد فالحمد لله الذي قسم عدوك وعدو ابيك من
قبل الجبار العنيد الغشوم الظلوم الذي ابتز هذه الامة امرها وغصبها
فيأها، وقامر عليها بغير رضى منها، ثم قتل اخيارها واستبقي اشرارها
وجعل مال الله دولة بين جبارتها وعتاتها، فبعدا له كما بعدت ثود ثم
انه ليس علينا امام، فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والنعمان بين
بشير في قصر الامارة، ولانسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة ولا نخرج
معه الى عيد ولو بلغنا انك اقبلت اخر جناه حتى يلحق بالشام والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن رسول الله وعلى ابيك من قبلك
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وحمل كتاب اهل الكوفة الى الحسين عليه السلام عبد الله
ابن مسعود الهذلي، وعبد الله بن وال، وخرجا مسرعين حتى قدما
على الحسين بمكة لعشر مضين من شهر رمضان، وكره اهل الكوفة
بعد يومين من ذهاب كتابهم هذا، فانفذوا قيس بن مشهر الصيداوي
وعبد الله وعبد الرحمن ابني شداد الارجبي، وعمارة بن عبد الله
السلولي الى الحسين يحملون نحو مائة وخمسين صحيفة، من الرجل
والاثنين والثلاثة والاربعة يسألونه القدوم عليهم، فراح الامام يبحث
الامر من جميع اطرافه ومختلف طرائقه، وانتظر اهل الكوفة
يومين آخرين فسرحوا اليه هاني بن هاني، والسبيعي، وسعيد بن عبد

الله الخفي يحملون اليه رضي الله عنه الكتاب التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليهما السلام من
شيعته من المؤمنين المسلمين

«اما بعد ، فان الناس ينتظرونك ، لا راى لهم غيرك ، فالعجل
العجل ثم العجل العجل والسلام»

ثم كتب اليه بعض رجالات الكوفة كتاباً جاء فيه :
« اما بعد فقد اخضر الجنب ، واينعت الثمار فاذا شئت فاقبل علي
جند لك مجند والسلام »

وتلاقت الكتب وحاملوها عند الحسين ، فقرأ الكتب وسأل
اصحابها عن الناس ، ثم كتب مع هاني بن هاني ، وسعيد بن
عبد الله ، وكانا آخر الرسل الكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي الى الملا من
المؤمنين المسلمين .

اما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم ؛ وقد بعثت اليكم
باخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل ، وامرته ان يكتب
الي بجالسكم وامركم ورايبكم ، فان كتب الي انه قد اجتمع رأي
ملاكم وذوي الحجي منكم علي مثل ما قدمت به رسلكم ، وقرأت
في كتبكم ، فاني اقدم اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام
الا العامل بالكتاب ، القائم بالقسط ، العامل بالحق ، الحابس نفسه

على ذات الله والسلام»

ولقد اراد الحسين رضي الله عنه بارسال مسلم ان يطمئن الى موقف اهل الكوفة ، ويستوثق من نصرتهم ، ويتعرف على عدد الشيعة فيهم ، وكان اصحابه قد اغرقوا في نصحه بعدم الاطمئنان لهم والايان بعودهم ، ذلك انهم قد ثاقلوا عن نصره ابيه ونكثوا بيعة اخيه ، فلا يبعد ان يتوفروا الى مثل هذا معه ، فارسل مسلماً رسولاً من قبله يدرس له الحالة ، ويبحث الامور ، ويتقدم له بالخبر اليقين .

ومشى مسلم بن عقيل بن ابي طالب الى الكوفة ونزل في دار المختار بن ابي عبيد ؛ فكانت الشيعة تختلف اليه فيقرأ عليهم كتاب الحسين ، فبايعه من الناس ثمانية عشر الفا كما اجمع على ذلك اكثر المؤرخين ؛ وكان امير الكوفة النعمان بن بشير فلما بلغه ذلك سعد المنبر ؛ فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال :

«اما بعد فاتقوا الله عباد الله ، ولا تسارعوا الى الفتنة ، والفرقة فان فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال ، واني لا اقاتل الا من يقاثلني ، ولا ائب الا على من وثب علي ، ولكنكم ان ابديتهم صفحتكم لي ، ونكثتم بيعتكم ، فوالله لا ضربنكم بسيفي

ما ثبت قائمه في يدي»

وكان النعمان حليماً نقياً ، فقال له احد شيعة بني أمية :
 « هذا رأي المستضعفين » فقال له النعمان : « لان اكون من
 المستضعفين وانا في طاعة الله احب الي من ان اكون قوياً في
 معصيته ! » فكتب هذا الى يزيد بن معاوية بالامر ، وأخبره بقدم
 مسلم بن عقيل الى الكوفة ، ومبايعة الناس له ، وضعف النعمان بن
 بشير ، وكتب اليه غيره بمثل ذلك ، فلما تواترت الكتب على يزيد
 بهذا المعنى استشار مولى معاوية سرجون بالامر ، فنصحته هذا
 بتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة ، وكان عبيد الله على
 البصرة ، فضم اليه يزيد البلدين وكتب له بذلك ، وأمره ان
 يسير الى مسلم بن عقيل في الكوفة فيأخذه او يقتله او ينفيه ،
 فلما وصل كتاب يزيد الى عبيد الله ، اخذ يرب شوؤنه وينظم
 اغراضه قبل ان يغادر البصرة الى مقره الجديد .

ووصل في هذه الاثناء كتاب من الحسين عليه السلام الى
 جماعة من اشراف البصرة ، مع مولى له اسمه سليمان يدعوم فيه الى
 نصرته ولزوم طاعته ، منهم يزيد بن مسعود النهشلي والمنذر بن
 الجارود العبدي ، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني
 سعد فلما حضروا ، قال : « يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم وحسبي
 منكم » فقالوا : بخ بخ انت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حلت

في الشرف وسطاً وتقدمت فيه اشواطاً

قال : فاني قد جمعتكم لامر اريد ان اشاوركم فيه واستعين
بكم عليه، فقالوا : انا والله نمنحك النصيحة ونجهد لك الرأي فقل
حتى نسمع، فقال :

« ان معاوية مات فاهون به والله هالكا ومفقوداً، الا وانه قد

انكسر باب الجور والاثم ونضعضت ار كان الظلم

«وكان قد احدث بيعة عقد بها امرأ ظن انه قد احكمه وهيئات
الذي اراد، اجتهد والله، ففشل وشاور فخذل، وقد قام يزيد شارب
الخمور ورأس الفجور بدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم بغير
رضى منهم، مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطن، قدمه
فاقسم بالله قسماً مبروراً للجهاد على الدين افضل من جهاد المشركين،
وهذا الحسين بن علي امير المؤمنين وابن رسول الله ذو الشرف
الاصيل والرأي الاثيل، له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف وهو اولي
بهذا الامر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير ويحسن
الى الكبير، فاكرم به راعي رعية وامام قوم، وجبت لله به الحجة
وبلقت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق ولا تسكعوا في وهد
هذا الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها
ينخر وجكم الى ابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونصرته، والله
لا يقصر احد عن نصرته إلا اورثه الله تعالى الذل في ولده والقلة في

عشيرته وها انا ذا قد لبست للحرب لامتها وادرت لها بدرعها من
لم يقتل يمت ومن يهرب لم يفت ، فاحسنوا رحمكم الله رد الجواب «
فتكلمت بنو حنظله فقالوا : ابا خالد نحن نبيل كنانتك وفرسان عشيرتك
ان رميت بنا اصبت وان غزوت بنا فتحت ، لا تخوض والله غمرة الا
خضناها ، ولا تلقى والله شدة الا لقيناها ، تنصرك باسيافنا ونقيك
بابداننا اذا شئت .

وتكلمت بنو سعد بن زيد فقالوا :

« ابا خالد ان ابغض الاشياء الينا خلافك والخروج من رأيتك
وقد كان صخر بن قيس امرنا بترك القتال فحمدنا ما امرنا وبني
عزنا فينا ، فامهلنا تراجع المشورة ونأتك برأينا »

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا :

« ابا خالد نحن بنو ابيك وحلفائك ؛ لا نرضى ان غضبت
ولا نوطن ان ظعننت ، والامر اليك فادعنا نجيبك ، ومرنا نطعمك ،
والامر اليك اذا شئت »

فقال : « والله يا بني سعد لئن فعلتموها لارفع الله السيف عنكم
ابداً » .

ثم كتب الى الحسين (عليه السلام) :

« اما بعد فقد وصل الي كتابك وفهمت ما نهدتني اليه ودعوتني

له من الاخذ بحظي من طاعتك ، والفوز بنصبي من نصرتك ، وان
الله لم يجعل الارض قط من عامل عليها بخير ، ودليل على سبيل نجات
وانتم حجة الله على خلقه ، ووديعته في ارضه ، نفرعتم من زبتونة
احمدية هو اصلها ، وانتم فرعها ، فاقدم سعديت باسعد طائر فقد ذلت
لك اعناق بني تميم وتركتهم اشد تتابعاً في طاعتك من الابل الظمأى
لورود الماء ، يوم خميسها ، وقد ذلت لك بني سعد وغسلت دون قلوبها
بماء سحاب مزن حين استهل برقها فلمع »

واما المنذر بن الجارود فانه جاء بالكتاب والرسول الى عبيد
الله بن زياد ، لانه خاف ان يكون الكتاب مدسوساً من عبيد
الله ، وكانت ابنته زوجة عبيد الله ، فاخذ ابن زياد الرسول فصله ،
ثم صعد الى المنبر فقال :

« اما بعد فان امير المؤمنين ولاني الكوفة وانا غاد اليها
الغداة وقد استخلفت عليكم اخي عثمان بن زياد ، فاي اياكم
الخلاف والارجاف ، فوالذي لا آله غيره ، ائن بلغني عن رجل
منكم خلاف لاقتله ، وعريفه ووليه ، ولا آخذن الاذني بالاقصى
حتى تستمعوا لي ، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق ، انا ابن
زياد اشبهته من بين من وطى الحصى »

وكذلك اراد ابن زياد ان يوظد امر البصرة قبل ان

يمشي الى الكوفة ، والى ما ندبه له يزيد بن معاوية من القضاء
 على الشيعة فيها ، وخطبه هذه بما فيها من قوة وتهديد ،
 وانذار وتلويح وتلميح ، تدلنا على ما كان يدور في خلدہ لما
 القاها ، وقد ظن انه قد احمدها فيها الثورة ، ووطد الامر ، وقع
 الخلاف .



جاسوس ابن زياد

كان النعمان بن بشير عاملاً على الكوفة في ذلك العهد ، و كان رجلاً صالحاً ديناً ، يدين لبني امية بالطاعة ، ويكره انتقاض العرب عليهم ، ولكنه كان ضعيفاً ليناً في ما يتصل بسياسة الشيعة وآل البيت ، و كان يكره ان يصاب احد منهم في عهده ، او يراق دم في مصره ، فلما نزل مسلم الى الكوفة ؛ تجاهل النعمان وجوده ، ولم يعرض له بخير ولا شر ، فانكر ذلك انصار بني امية و كاتبوا يزيداً بموقفه وضعفه ولينه ، فسأل يزيد (ابن مرجون) مولى معاوية رأيه فنصحه بان يولي ابن زياد الكوفة كما قدمنا ، و كان يزيد له كارهاً وعليه ناقماً ، وقال مرجون مجاوره :

— ارأيت لو نشر لك معاوية ا كنت آخذاً برأيه ؟

فقال يزيد : نعم

فقال مرجون : « اذن فابعث بالولاية الى ابن زياد فان معاوية

قد عهد له بها قبل وفاته .

و كان عبيد الله بن زياد شاباً شديداً قوياً بطاشاً ، تولى خراسان

اول عهده بالادارة ، وقبل وفاة معاوية ^(١) فآظهر مدة ولايته فيها
بطشاً وجرأة وشدة وقوة ، وحارب الترك في تلك الاصقاع مدة
سنتين ، ثم نقل من خراسان الى اماراة البصرة ، ولما توفي زياد بن
ابيه وعاد شأن الخوارج الى الظهور ، اشتد عيب الله في قمعهم وحرهم
وقتلهم شرفلة ، وشردهم في البلاد والامصار ، وكان عيب الله
دون ابيه ذكاه وبلاغة ، ولكنه كان مثله شدة وقسوة ، فلما ولاه
يزيد الكوفة مع البصرة ، اصبح والي العراق كله من اقصاه الى
اقصاه ونائب المليك فيه .

واقبل ابن زياد الى الكوفة في صباح يوم شديد الحر
عظيم القبط ، وفي ركابه وجوه اهل البصرة كشرىك بن الاعور
والمندر بن الجارود وغيرهم ، ودخل الكوفة وعليه عمامة سوداء
وهو متلثم ، وكان قد بلغ اهلها ان الحسين عليه السلام مقبل عليهم ،
فلما ابصروه وجماعته ظنوه اياه ، فاخذ لا يمر على جماعة من الناس الا
سلموا عليه ودعوا وقالوا :

— مرحباً بابن بنت رسول الله ، قدمت خير مقدم

ومشى ابن زياد الى دار الامارة لا يكلمهم ، وقد رأسه من
تباشيرهم بالحسين ما ساءه ، وخرج الناس من دورهم يهتفون له ،

(١) يقول ابن عساکر انه كان في الخامسة والعشرين من عمره لما ولي

ويسيرون خلفه ، فلما سمع النعمان بن بشير عامل الكوفة جلبة الناس
وهتافهم ، ايقن بقدوم الحسين ، فأطلق عليه باب القصر ،
وانتهى اليه عبيد الله ومعه الخلفاء يصبحون ، فقال له النعمان من
وراء الباب :

— انشدك الله الاتنجيت ، والله ما انا مسلم لك امانتي ومالي في
مقتالك من أرب

فقال له عبيد الله بن زياد : «افتح لا فتحت تعد طال ليالك»
وسمعا انسان خلفه ، فنكص الى القوم يقول :
— يا قوم ، هذا ابن مرجانة — ابن زياد — والذي لا
اله غيره .

ولما سمع النعمان صوت ابن زياد فتح له الباب ، فدخل ،
واغلقه خلفه وتفرق الناس .

ورأى ابن زياد ان يستعجل الحوادث فلما اصبح نادى مناديه :
« الصلاة جامعة » وكان من عادة كل امير جديد ان يدعو الناس
الى الصلاة يقرأ عليهم كتاب الامارة ، ويقف فيهم على منبر
المسجد خطيباً ، يتناول سياسته بشيء من التفصيل او القصد ، وفاقاً
للظروف الحاضرة

وفي صباح اليوم التالي اجتمع الناس للصلاة ، فخرج ابن زياد

اليهم ، وصعد المنبر وحمد الله واثني عليه ثم قال :

« اما بعد فان امير المؤمنين اصلحه الله ولا في مصركم وثغركم
وفيثكم ، وامرني بانصاف مظلومكم ، واعطاء محرومكم ،
وبالاحسان الى سامعكم ومطيعكم ، وانا متبع فيكم امره ،
فانا لمحسنكم كالوالد البر ، وسوطي وسيفي علي من ترك امرية
وخالف عهدي »

ثم نزل عن المنبر ، وارتحل النعمان بن بشير فنجح وطنه بالشام ،
واخذ ابن زياد العرفاء والناس اخذاً شديداً فقال لهم :

« اكتبوا الى الغرباء ومن فيكم من طلبة امير المؤمنين ، ومن
فيكم من الحرورية والخوراج واهل الربب الذين شأنهم الخلاف
والنفاق والشقاق ، فمن كتبهم لنا برى ، ومن لم يكتب لنا احداً
فليضمن لنا في عرفته ان لا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يبغينا علينا منهم
باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا دمه وماله ، وايماء
عريف وجد في عرفته من بغية امير المؤمنين احد لم يرفعه الينا صلب
على باب داره والقيت تلك العرافة من العطاء »

ولما سمع مسلم بن عقيل محيي عيد الله الى الكوفة ومقاتله
التي قالها وما اخذ به العرفاء والناس ، خرج من الدار التي كان فيها
بعد عتمة ، الى دار هاني بن عروة المرادي ، وكان من اشراف اهل

الكوفة ودخل في بابه وارسل اليه : انيتك لتضيفني وتجبرني
 قال له هذا : « لقد كلفتني شططاً لولا دخولك داري وثقتك
 بي لاجبت ان تنصرف لشأنك ، غير انه لزمني من ذلك ذمام .
 ادخل فدخل

واخذت الشيعة تختلف اليه في دار هانيء على تسقروا استخفاء
 من عبيد الله ؛ وتواصوا بالكتمان ، وجاء شريك بن الاعور ، حتى
 نزل على هانيء في داره ، وكان من كبار الشيعة ، ولما تحول
 مسلم بن عقيل الى دار هانيء بن عروة ، وبايعه ثمانية عشر الفاً
 من اهل الكوفة كتب كتاباً الى الحسين مع عابس بن ابي شبيب
 الشاكريء ، يخبره بالبيعة له واجتماع الناس عليه ، وانتظارهم
 اياه ، وفيه :

« اما بعد فان الرائد لا يكذب اهله ، وقد بايعني من اهل
 الكوفة ثمانية عشر الفاً ، فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي ، فان
 الناس كلهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأي ، ولا هوى
 والسلام »

ودعا ابن زياد مولى له يقال له معقل التميمي واعطاه ثلاثة
 آلاف درهم وامره ان يسأل عن مسلم بن عقيل ، ويعلمه انه غريب
 يجب هذا الامر ويدفع اليه المال ، فلم يزل الجاسوس يتلطف ، حتى دل

على شيخ من اهل الكوفة بيلي البيعة للحسين ، وهو مسلم بن عوسجة
الاسدي ، فقصده في المسجد الاعظم وهو بصلي ، وراح ينتظره حتى
قضى صلواته فاخبره انه من اهل الشام ، انعم الله عليه بحب اهل
البيت ، وثياكي له وسأله ان يبدله على صاحبه ليأبىه ، فقال له ابن
عوسجة :

— لقد سرني لقائك اباي وسأني ، فاما ما سرني من ذلك
فإهداك الله له من حبك اباهم ، واما ما سأني فمعرفة الناس اباي
بهذا الامر قبل ان يستحكم .

فطلب منه معقل ان يأخذ البيعة عليه ، فاخذ بيعته واخذ عليه
المواثيق المغلظة ليناصحن ، واخذ يختلف مع الناس ، وطلب له
الاذن فاذن له مسلم بن عقيل واخذ بيعته وامر ابائامة الصائدي بقبض
المال منه ، وهو الذي كان يقبض اموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً
ويشتري لهم السلاح ، وكان به بصيراً ، وكان من فرسان
العرب ووجوه الشيعة ، واقبل معقل يختلف اليهم فهو اول داخل
وآخر خارج حتى منهم ما احتاج اليه ابن زياد من امرهم ، فكان
بخبره به وقتاً فوقتاً ، وخاف هاني بن عروة عبيد الله على نفسه ،
وكان هاني احد الامراء الكبار ، ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم
وانقطع عن حضور مجلسه فتمارض ، وروى ابن الاثير انه عرض
فاتاه عبيد الله بعوده فقال له عمارة بن السلولى :

— قد امكنتك الله من هذه الطاغية فاقتله

فقال هانيء : « ما احب ان يقتل في داري »

ومرض بعد جمعة شريك بن الاعور ، وهو في دار هانيء
وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الامراء ، فارسل اليه عبيد
الله ، اني رائح اليك العشية ، فقال لمسلم :

— ان هذا الفاجر عائدي العشية ، فاذا جلس اخرج اليه فاقتله

ثم اعد في القصر

وجاء عبيد الله وجلس فاظال جلوسه ، وامتنع مسلم عن قتله
لكراهية قتله في دار هانيء ، وحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن بمؤمن » كما اخبر
مسلم بذلك لما سأل شريك ما منعك من قتله ، قال : « خصلتان »
وذكر ما تقدم

فقال له شريك : « لو قتلته اقتلت فاسقاً فاجراً كافراً

غادراً »

ولبت شريك بعد ذلك ثلاثاً ثم مات

وذكر عبيد الله بن زياد بعد ايام ، هانيء بن عروة وجليسائه وقال :

— مالي لا اري هانئاً ؟

فقالوا : هو شاك

فقال : « لو علمت بمرضه لعدته »

ويعا محمد بن الاشعث ، واسماء بن خارجة ، وعمرو بن الحجاج
الزيدي ، فقال لهم :

— ما يمنع هاني بن عروة من اتيانا ؟

فقالوا : « ما ندري وقد قيل انه عليل منذ ايام »

قال : « بلغني انه بريء وهو يجلس على باب داره ، فالتقوه
ومروه ان لا يدع ما عليه من حقنا ، فاني لا احب ان يفسد عندني
مثله من اشراف العرب »

فاتوه عشية وهو جالس على بابه ، فاخبروه ان الامير ذكره ،
وقال : « لو علم انه شاك لعاده ، وانه بلغه انه يجلس على عتبة
باب داره وقد استبطأ » واقسموا عليه ان يركب معهم ليسل
سخيمة قلبه ، فركب بغلته وسار معهم فلما دخل القوم على عبيدالله
ابن زياد وهاني معهم قال ابن زياد :

— انتك بخائن رجلاه

فلما دنى هاني من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت نحوه
فقال :

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليك من مراد
وكان اول ما قدم مكرما له
فقال له هاني : وما ذاك ايها الامير ؟

قال: ايه باهاني، بن عروة، ما هذه الامور التي تربص في دارك
لامير المؤمنين وعامة المسلمين، جئت بسلام بن عقيل فادخلته دارك
وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت ان ذلك
يخفي علي؟

قال: « ما فعلت ذلك وما مسلم عندي »

قال: « بلي قد فعلت »

فلما كثرت النزاع بينهما، دعا ابن زياد معلقاً جاسوسه، فجاء
حتى وقف بين يديه فقال له:

— انعرف هذا؟

قال: نعم

وعلم هاني، عند ذلك انه كان عيناً عليهم وانه اتاه باخبارهم،
فسقط في يده ساعة، ثم راجعه نفسه فقال:

— اسمع مني وصدق مقالتي، والله ما دعوته منزلي، ولكنه

جاءني يسألني النزول فاستحييت من رده

قال: ائني به

قال: لا اجيئك به ابداً انا اجيئك بضيبي تقتله، والله لو كان

تحت قدمي ما رفعتهما عنه

قال: ادنوه مني فادني، فاعترض وجهه بالقضيب، فلم يزل

يقرب به انفه وجبينه وخده حتى كسر انفه، وسيل الدماء على

ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ، واهوى هانيء الى سيف
شرطي ليسله فدفع عن ذلك

فقال عبيد الله : « قد احل الله دمك » وامر به فاقوه في
بيت في جانب القصر حبس فيه ، فقام اسام بن خارجة فقال :
— ارسل غد نحن اليوم ؟ امرتنا ان نجيثك بالرجل
حتى اذا جئناك به هشمت انفه ووجهه ؟ فامر به عبيد الله فلهز
وضرب .

فقال محمد بن الاشعث : رضينا بما رأى الامير ، لنا كان ام
علينا ، انما الامير مؤدب
وبلغ عمرو بن الحجاج ان هانثاً قتل ، فاقبل في مذبح
حتى احاط بالقصر ونادى :

— انا عمر بن الحجاج وهذه فرسان تدحج ووجوهها ، لم
نظلم طاعة ولم نفارق جماعة ، وقد بلغهم ان صاحبهم قتل
فاعظمواذلك

فقال عبيد الله لشريح القاضي ، وكان حاضراً ، ادخل على
صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج اليهم فاعلمهم انه حي فدخل شريح
فنظر اليه ، فقال هانيء لما رأى شريحاً وسمع الضجة : اني لاظنها
اصوات مذحج ياقه بالمسلمين .

فخرج شريح ومعه جاسوس لابن زياد فقال لهم :

— ان الامير امرني بالدخول عليه فاتيته ، فامرني ان
 اعرفكم انه حي ، وان الذي بلغكم من قتله باطل ، وانما
 حبسه لیسأله
 فقال عمرو بن الحجاج واصحابه : « اذا لم يقتل فالحمد لله »
 وانصرفوا .



مقتل رسول الحسين

احس مسلم بن عقيل مندوب الحسين رضي الله عنه الى اهل الكوفة ، بعد سجن هاني ، وضربه ، ان عليه النهوض والمدافعة عنه ، واستخلاصه من ايدي ظلامه ، فنهض في جماعته ورجاله ومن بايعه على طاعة الحسين ، وشد ازره ، وحدث احد الرواة فقال : « انه كان اول من دخل الدار على مسلم يحدثه بما وقع لهاني ، فامرهم مسلم ان ينادي بشعاره (يا منصور امت) فنادى ، فاجتمع اليه من اهل الكوفة اربعة آلاف ، فعقد مسلم لعبد الرحمن بن كرز الكندي على ربع كندة وريعة ، وقال له : سر امامي في الخيل وعقد لمسلم بن عوسجة الاسدي على ربع مذحج واسد ، وقال : انزل في الرجال ، وعقد لابي تمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان ، وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة على قريش والانصار ، ولما قدم مسلم مقدمته وعين ميمته وميسرته ، سار في القلب نحو القصر الى عبيد الله ، فضاقت بعبيد الله امره وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من وجوه اهل الكوفة واهل بيته ومواليه ، فعمد عندئذ الى الخيلة والمكر يحارب بهما خصومه

فدعا كثير بن شهاب وامره ان يخرج فيمن اطاعه من مذحج فيسير
في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ، ويخوفهم الحرب ويحذرهم
عقوبة السلطان ، وامر محمد بن الاشعث ان يخرج فيمن اطاعه من
كندة وحضرموت فيرفع راية الامان لمن جاءه من الناس ،
وقال لمن كان عنده من رجالات الكوفة مثل ذلك وحبس باقي وجوه
الناس عنده استيحاشاً اليهم لقلّة عدد من معه من الناس

فخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن مسلم ، وخرج محمد
ابن الاشعث حتى وقف عند دور بني عمارة ، فبعث ابن عقيل الى
محمد بن الاشعث عبد الرحمن بن شريح الشبامي ، فلما رأى ابن
الاشعث كثرة من اتاه تأخر عن مكانه ، واخذ هو وكثير بن
شهاب والقعقاع بن شور وشبث ابن ربعي ، يردون الناس عن اللحاق
بمسلم ويخوفونهم السلطان حتى اجتمع اليهم عدد كبير من قومهم
وغيرهم ، فصاروا الى ابن زياد ودخل القوم معهم واقام الناس مع
ابن عقيل يكثرون حتى المساء وامرهم شديد ، فبعث عبد الله الى
الوجوه فجمعهم وطلب منهم ان يشرفوا على الناس ويردوهم
ويخذلوهم عن ابن عقيل ويقولون :

— الخقوا باهاليكم ولا تعرضوا انفسكم للقتل فان هذه
جنود امير المؤمنين قد اقبلت ، وقد اعطى الامير عهداً لئن لم تنصرفوا
من عشيتكم ، ان يحرم ذريبتكم العطاء وان يأخذ البري بالسقيم

والغائب بالشاهد ، حتى لا يبقى فيكم بقية من اهل المعصية الا
اذاقها وبال ما جرت ايديها
وتكلم الاشراف بنحو من هذا الكلام وجعلوا يمينون اهل
الطاعة بالزيادة والكرامة ، ويخوفون اهل المعصية الحرمان
والعقوبة .

و كان الرجل يأتي ابنه واخاه وابن عمه فيقول : انصرف فان
الناس يكفونك ، وتجيء المرأة الى ابنها وزوجها ، فتقول : غداً
يأتيك اهل الشام فما نصنع بالحرب وتعلق به حتى يرجع
فما امسى مسلم بن عقيل الا واصحابه يتفرون ، حتى صار
في خمسة ثم بقي في ثلاثمائة ثم لم يبق معه الا ثلاثون رجلاً صلى بهم
المغرب في المسجد ، فلما اختلط الظلام ذهب اولئك ايضاً ولم يبق معه
احد يدلّه على الطريق ، ولا من يدلّه على منزله ، او بواسييه بنفسه ان
عرض له عدو ، فمضى على وجهه في ازقة الكوفة لا بدري ابن
بذهب ، حتى خرج الى حي كندة فانتهى الى باب امرأة يقال لها
طوعة ام ولد كانت للاشعث بن قيس ، فاعتقها فتزوجها اسيد
الحضرمي فولدت له بلالا ، وكان بلال خرج مع الناس وامه
تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه ، فقال لها :

— يا امة الله اسقني ماء

فدخلت فسقته ، وادخلت الاناء ثم خرجت : وهو جالس

مكانه فقالت :

- يا عبد الله ألم تشرب ؟

قال : بلى

قالت : اذهب الى اهلك ، فسكت ، ثم عادت فقالت ، مثل ذلك فسكت ، ثم قالت له : مر الى اهلك عافاك الله فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا احله لك .

فقام وقال : « يا امة الله مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة ، فهل لك في اجر ومعروف وعلمي مكافئك به بعد اليوم فقالت : وما ذلك

قال انا مسلم بن عقيل كذبي هو لاء القوم ، وغروني

وخذلوني

فادخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تسكن فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها فرآها نكثرت الدخول والخروج منه فقال :

- والله لتربيني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه ، ان لك لساناً

فقالت له : لا تسألني عن شي

فالح عليها فقالت :

- يا بني لا تحدثن احداً من الناس بما اخبرك به ، واخذت

عليه الايمان فحلف لها فاخبرته ، فاضطجع وسكت

وجعل ابن زياد لا يسمع لاصحاب ابن عقيل صوتاً فقال لاصحابه : اشرفوا فانظروا هل ترون منهم احداً ، فاشرفوا فلم يروا احداً ، فاعلموا ابن زياد ففتح باب السدة التي في المسجد ، وكان المسجد مع القصر ، فخرج فيمن كان معه وجلس اصحابه حوله ووضعت الشموع والقناديل ، وامر عمرو بن نافع فنادى بالكوفة «الابرئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلي العشاء الا في المسجد»

فلم يكن الا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس واقام مناديه الصلاة واقام الحرس خلفه وامرهم بمجراسته من ان يدخل عليه من يقتاله ، وصلى بالناس صلاة العشاء ثم صعد المنبر فقال :

« اما بعد فان ابن عقيل السفية الجاهل قد اتى ما قد رأيت من الخلاف والشقاق فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ومن جاءنا به فله ديبته ، اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على انفسكم سبيلاً»

ونزل ابن زياد عن المنبر بعد ان صدر امره الى الحسين بن نمير بمراقبة سكك الكوفة والقبض على ابن عقيل ، وكان الحسين على شرطته ، وعقد لعمرو بن حريث رايته وامره على الناس

فلما كان الصباح جلس مجلسه واذن للناس فدخلوا عليه ، واقبل
 محمد بن الاشعث فقال له ابن زياد : « مرحباً بمن لا يستغش ولا
 يتهم » واقعده معه على سريره .

واصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن اسيد الذي آوت
 امه ابن عقيل فغدا الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وهو حينئذ
 غلام فاخبره بمكان ابن عقيل عند امه ، فاقبل عبد الرحمن حتى اتى
 اباه وهو عند ابن زياد فساره ، فسأله : اين زياد

قال : اخبرني ان ابن عقيل في دار من دورنا

فخنس بالقضيب في جنبه وقال : « قم فأتني به الساعة »

وبعث الى عمر بن حريث خليفته على الناس : « ان ابعث مع

ابن الاشعث ستين او سبعين رجلاً كلهم من قريش »

فسار ابن الاشعث ومعه عبيد الله بن العباس السلمي في ستين
 او سبعين رجلاً من قريش حتى اتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل ،
 فلما سمع وقع حوافر الخيل واضوات الرجال علم انه قد اتى ، فخرج
 اليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشد عليهم فضربهم بسيفه ، حتى
 اخرجهم من الدار ؛ ثم عادوا اليه فشد عليهم ، فلما رأوا ذلك اشرفوا
 عليه من فوق ظهر البيت واخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في
 اطنان القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيت ، فلما رأى ذلك
 خرج عليهم مصلاً سيفه فقاتلهم في السكة ، فاقبل عليه محمد بن

الاشعث وقال له :

يا بني لك الامان ، لا تقتل نفسك

و كان مسلم قد اذخن بالجراح وعجز عن القتال فاستد ظهره
الى جنب تلك الدار ، فاعاد ابن الاشعث عليه القول ، لك الامان ،
فقال : ا آمن انا

قال : نعم ، وامنه القوم ايضاً

فقال ابن عقيل : اما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي بايديكم
واني بيغلة فحمل عليها ، فاجتمعوا حوله ونزعوا سيفه فيئس عند
ذلك من نفسه ودمعت عيناه ، ثم قال :

— هذا اول القدر

قال له محمد بن الاشعث : ارجو ان لا يكون عليك بأس

فقال : وما هو الا الرجاء ، اين امانكم ؟ انا لله وانا اليه

راجعون ، وبكي

فقال له عبد الله بن العباس السلمي : ان من يطلب مثل الذي

تطلب اذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك

فقال : اني والله ما لنفسي ابكي ولا لها من القتل ارثي ، ولكن

ابكي لاهلي المقبلين اليكم ، ابكي للحسين وآل الحسين ، ثم قال

لمحمد بن الاشعث : اني اراك يستعجز عن امانني فهل عندك خير ،

نستطيع ان نبت من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسبتاً فاني لا

لا اراه الا قد خرج اليكم اليوم مقبلاً ، او هو خارج غدأ هو
واهل بيته ، وليقل له : ان ابن عقيل بعثني اليك وهو اسير في ايدي
القوم لا يرى انه يمسي حتى يقتل ، فارجع فذاك ابي وامي باهل
بيتك ولا يفرك اهل الكوفة فانهم اصحاب ابيك الذي كان
بتمنى فراقهم بالموت او القتل ، ان اهل الكوفة كذبوك وليس
لمكذوب رأي

فقال ابن الاشعث « والله لافعلن ، ولاعلمن ابن زياد اني قد
امتك »

ودعا ابن الاشعث اياس بن العثل الطائي وقال له :
« الق حسيتاً فابلغه هذا الكتاب » وكتب فيه الذي امره
ابن عقيل وقال له : هذا زادك وجهازك ومتمعة لعيالك ، واعظام اراحة
وكل ما يحتاج اليه في سفره

واقبل ابن الاشعث بابن عقيل الى باب القصر فاستأذن فاذن
له ، فدخل على ابن زياد واخبره خبر ابن عقيل وما كان من امانه
له ؟ فقال له عبيد الله :

— وما انت والامان كأننا ارسلناك لتؤمنه ، انما ارسلناك

لتأتيناه

فسكت ابن الاشعث ، وانتهى بابن عقيل الى باب القصر

وقد اشتد به العطش وعلى باب القصر اناس ينتظرون الاذن، واذا قلة
 فيها ماء بارد موضوعة على الباب، فقال مسلم بن عقيل:
 - اسقوني من هذا الماء

فقال مسلم بن عمرو: امرها ما ابردها، والله لا تذوق منها
 قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم
 فقال له ابن عقيل: ويملك من انت
 قال: انا من عرف الحق اذا انكرته، ونصح لامامه اذا غشسته
 واطاعه اذا خالفته، انا مسلم بن عمرو الباهلي
 فقال له ابن عقيل: «لامك الشكل ما اجفأك وافظك واقسى
 قلبك»

ثم جلس ونسألت الى حائط، وبعث عمارة بن عقبة غلاماً له
 فجاءه بقلعة عليها منديل وقدح فصب فيه ماء وقال له: اشرب!
 فاخذ كما شرب امتلاً القدح دماً من فيه، فلا يقدر ان
 يشرب، ففعل ذلك مرة ومرتين، ولما ذهب في الثالثة ليشررب
 سقطت ثيابه في القدح، فقال: الحمد لله لو كان لي من الرزق
 المقسوم لشربته

وخرج رسول ابن زياد فامر بادخاله اليه فلما دخل لم يسلم
 عليه بالا مرة، فقال له المرسي:
 - الا تسلم على الامير؟

فقال : ان يريد قتلي فاسلامي عليه ، وان كان لا يريد قتلي
ليكثرن سلامي

فقال له ابن زياد : لعمرى لتقتلن

قال : كذلك !! قال : نعم

قال فدعني او صي الى بعض قومي ، قال : افعل

فنظر مسلم الى جلساء عبيد الله وبنهم عمر بن سعد بن ابي
وقاص ، فقال : يا عمر ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وقد
يجب لي عليك نجمع حاجتي ، وهي سر

فامتنع عمر ان يسمع ، فقال له عبيد الله :

— لم تمتع ان تنظر في حاجة ابن عمك ؟

فقام معه وجلس حيث ينظر اليهما ابن زياد ، فقال مسلم له :

— ان علي بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعة

درهم فبع سيفي ودرعي فاقضها عني ، واذا قلت فاستوهب جثتي من

ابن زياد فوارها ، وابعث الى الحسين من يوده فاني قد كتبت اليه

اعلمه ان الناس معه ، ولا اراه الا مقبلا

فقال عمر لابن زياد : « انه قال كذا وكذا »

فاجاز ابن زياد ذلك كله وقال :

— ان الامين لا يخونك ولكن قد بوثمن الخائن ، اما مالك

فهو لك ولسنا نمنعك ان تصنع به ما احببت ، واما جثتك فلانبالي

إذا قتلناك ما يصنع بها ، وأما حسين فان هو لم يردنا لم نرده
ثم قال ابن زياد : يا ابن عقيل انيت الناس وامرهم مجتمع

فشتت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض

قال : كلا است لذلك ايت ، ولكن اهل هذا العصر زعموا
ان اباك قتل خيارهم وسفك دماءهم ، وعمل فيهم اعمال كسرى
وقيصر فانيناهم لنامر بالعدل وندعو الى حكم الكتاب والسنة .

فقال له ابن زياد : وما انت وذاك يا فاسق ، قتلني الله ان لم

اقتلك قتلة لم يقتلها احد في الاسلام

فقال مسلم : اما انتك احق من احدث في الاسلام ما ليس

فيه ، وانك لا تدع خبث السيرة ولو لم القيلة وقبح المثلة .

فاقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقبلاً عليهم

السلام ، واخذ مسلم لا يكلمه ، ثم قال ابن زياد :

— اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه

فقال مسلم لابن الاشعث : لولا امانك ما سلمت ، ثم بسيفك

دوني قد اخفرت ذمتك

ودعا ابن زياد بكبير بن حمران الاحمري الذي ضرب ابن

عقيل رأسه بالسيف وقال له :

— اصعد فلتكن انت الذي تضرب عنقه

فصعد به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسوله ويقول :

« اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا و كذبونا و خدعونا » و اشرف به على الناس و هم على باب القصر مما يلي الرحبة فضرب عنقه امامهم فسقط رأسه على الرحبة ، ثم القيت جثته الى الناس ، و قام محمد بن الاشعث الى عبيد الله بن زياد فكلمه في هاني ، بن عروة فقال :

— انك عرفت منزلة هاني في مصر و بيته في العشيرة ؛ و قد علم قومه اني انا و صاحبي سقناه اليك فانشدك الى لما وهبته لي ؟

فوعده ان يفعل ثم بدا له رأي آخر فامر بهاني ، حين قتل مسلم ، فقال : « اخرجوه الى السوق و اضربوا عنقه » فخرج هاني ، حتى انتهى الى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم و هو مكتوف فجعل يقول :

— و امدحجاه و لا مدحج لي اليوم .

فلما رأى ان احداً لا ينصره جذب يده فزعاها من الكشاف ،

ثم قال :

— اما من عصا او سكين او حجر او عظم يدافع به رجل

عن نفسه ؟

فوثبوا اليه و شدوه و ثاقاً ، و قيل له ان امدد عنقك ، فقال :

— ما انا بسخي و ما انا بمعينكم على نفسي

فصر به مولى لعبيد الله توكي يقال له رشيد بالسيف فلم يصنع

شيئاً ، فقال هاني :

— الى الله المعاد اللهم الى رحمتك ورضوانك

ثم ضربه اخرى فقتله

وفي رواية احمد بن داود الدينوري كان قتل هاني بن عروة

عقب انصراف عمرو بن الحجاج ومن معه من مذحج قال :

« فلما علم ابن زياد انهم قد انصرفوا امر بهاني بن عروة فأتى

به السوق فضربت عنقه هناك

وكان قتل مسلم بن عقيل يوم الاربعاء لتسع مضين من ذي

الحجة وذلك يوم عرفة سنة ستين

قال اليباسي : ثم امر ابن زياد ببيثة مسلم فصلبت ولما قتل

مسلم وهاني بعث عبيد الله بن زياد برأسيهما مع هاني بن ابي حية

الوادعي والزيبر بن الاروح التميمي الى يزيد بن معاوية ، وامر

كاتبه ان يكتب بما كان من امر مسلم وهاني ، فكتب الكتاب

وهو عمر بن نافع فاطال وكان اول من اطال في الكتاب فلما نظر

فيه عبيد الله كرهه وقال :

— ما هذا التطويل وما هذا الفضول ؟ اكتب :

« اما بعد فالحمد لله الذي اخذ لامير المؤمنين حقه و كفاه

مؤنة عدوه ، اخبر امير المؤمنين ان مسلم بن عقيل لجأ الى دار

هاني بن عروة المرادي واني جعلت عليها العيون ودست اليها

الرجال وكدتها حتى استخرجتها وامكن الله منها فضربت

اعتناقها وقد بعثت اليك برأسها مع هاني بن ابي حبة الوادعي
 والزيير بن الاروح التميمي وها من اهل السمع والطاعة والنصيحة
 فليسألها امير المؤمنين عما احب من امره فان عندها علماً وصدقاً
 وورعاً والسلام»

فكتب اليه يزيد: اما بعد فانك لم تعد ان كنت كما احب،
 عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد
 اغنيت وكنيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك وقد دعيت رسوليك
 وسألتهما وناجيتهما فرأيتهما في رأبها وفضلها كما ذكرت فاستوص
 بهما خيراً، وانه قد بلغني ان حسينا قد فصل من مكة متوجها
 الى العراق فارك العيون عليه، وضع الارصاد على الطرق،
 واحترس واحبس على الظنة واقتل على التهمة واكتب الي فيما يحدث
 من خير ان شاء الله.

وبذلك انتهت حياة مسلم بن عقيل الشاب الباسل، الذي
 انكر عليه الاب لامنس ان يكون دافع عن نفسه وقاتل خصومه
 العديدين بسيفه ولو حده، وبأبي عليه الا ان يكون قد استسلم
 لما رأى القوة قد احاطت به، ولا ندري المصدر الذي استقى منه
 لامنس هذا الخبر، هذا اذا لم يكن من مخترعائه، وهي اكثر
 ذلك ان امر دفاعه عن نفسه ومقاتلة خصومه الذين يزيدون عن

السبعين ، من الامور التي اجتمعت عليها كتب التاريخ ، واكدتها
بمختلف السير وال اخبار .

ولعل اروع ما في هذا الفصل ما اظهره مسلم من جرأة
وبسالة لما مثل بين يدي ابن زياد ، واهتمامه الاهتمام كله بانفاز
الخبر الى الحسين وجماعته بان لا يردوا الكوفة ، بعد ان ثبت له
تقاعس الناس عن نصرتهم ، وتقضهم لبيعتهم ، وقد ادرك رحمة
الله انه مقتول ، وايقن ان القوم سيخذلون الحسين كما خذلوه ،
ويجملون بينه وبين عدوه بصادمه وحده ويقائله بشيعته القليلة واهله ،
وما كان بطوق هؤلاء ان يقفوا في وجه القوة العظيمة التي كان
باستطاعة ابن زياد ارسالها عليهم ، ودفعا لحرهم ، فكان مثلهم
والحالة هذه مثل فرد يقائل جيشاً ، وهو امر كان فوق الطاقة
وفوق الامكان



في طريق الكوفة

ينتظم ملك يزيد بن معاوية - وهو ملك ابي الله الا ان
 يكون قصير الاجل ، مفجع الحوادث ، دامي الوقائع - في ثلاثة
 فصول ومقدمة ، فاما المقدمة فقد شهدنا احداثها بمصرع مسلم بن
 عقيل ، واما الفصول الثلاثة فاولها معركة كربلاء ، وثانيها
 اقتحام المدينة واستباحتها للناس ، وثالثها محاصرة الكعبة ، وفي اثناء
 حصارها يهلك يزيد ، ويذهب الملك من اسرة معاوية ، ويمحق الله
 نسله فلا تقوم لهم قائمة ، ولا يفسو لهم خبر ، ولا يظهر لهم بعد
 ذلك شأن .

ولقد غضب يزيد على عامله الوليد بن عتبة في المدينة ان سمح
 للحسين بالرحيل الى مكة ، ولم يأخذه بالقوة على البيعة ، فراح يولي
 مكانه عمرو بن سعيد الملقب بالاشدق ، وكان الحسين عليه السلام
 قد دخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان سنة ٦٠ ، فاقام فيها
 بقية شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وخرج منها لثلاث
 مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء ، وهو اليوم الذي خرج فيه مسلم

ابن عقيل بالكوفة ، و كان قد اجتمع عليه مدة مقامه بمكة نفر من
 اهل الحجاز ، ونفر من اهل البصرة ، وانضافوا الى اهل بيته ومواليه
 وبما اراد الحسين عليه السلام التوجه الى العراق طاف بالبيت وسعى
 بين الصفا والمروة واحل من احرامه وجعلها عبرة ، ولم يكن خبر
 مسلم بن عقيل قد بلغه لخروجه في يوم خروجه
 ويقال ^(١) ان ابن الزبير اتى الحسين فقال له :

— ان شئت ان تقيم بالحجاز اتمت ، فوليت هذا الامر فأزرنك
 وساعدناك ونصحننا لك وبابعدناك

فابى الحسين فقال له ابن الزبير : فاقم ان شئت وتوليني انا الامر
 فتطاع ولا تعصى ، فقال : وما اريد هذا ايضاً
 واتي عبد الله بن عباس ^(٢) الحسين فقال « قد ارجف الناس
 انك سائر الى العراق فبين لي ما انت صانع ؟ »

قال : قد اجمعت السير في احد بومي هذين ان شاء الله تعالى
 فقال ابن عباس : اني اعينك بالله من ذلك واتخوف عليك في
 هذا الوجه الهلاك ، ان من تقصدهم قوم غدر ، اقم في هذا البلد فانك
 سيد اهل الحجاز ، فان كان اهل العراق يريدونك كما زعموا فلينفوا
 عدوهم ، ثم اقدم عليهم ، فان آيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان

(١) ابن الاثير والطبري

(٢) « الطبري وابن الاثير

بها حصوناً وشعاباً ولايك بها شيعة
 فقال له الحسين : يا ابن العم اني اعلم أنك ناصح مشفق ولكني
 قد ازمعت واجمعت على المسير
 ولم يكن عند ابن الزبير^(١) شيء اقل عليه من مكان الحسين
 بالحجاز ولا احب اليه من خروجه الى العراق طمعاً في الوثوب
 بالحجاز ، وعلماً بان ذلك لا يتم له الا بعد خروج الحسين فلتقي الحسين
 عليه السلام وقال له :

— على اي شيء عزمت يا ابا عبد الله
 فاخبره برأيه في اتيان الكوفة ، واعلمه بما كتب به مسلم
 ابن عقيل ، فقال له ابن الزبير :
 — فما يجسك ، فوالله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق لما
 تلومت في شيء ، وقوى عزمه ثم انصرف
 وجاءه عبد الله بن عباس وقد اجمع رأيه على الخروج ، فجعل
 يناشده في المقام ويعظم عليه القول في ذم اهل الكوفة وقال له :
 — انك تأتي قوماً قتلوا اباك ، وطمعوا اخاك ، وما اراهم الا
 خاذليك .

فقال له : هذه كتبهم معي ، وهذا كتاب مسلم باجتاعهم .
 فقال له ابن عباس : ان كنت لا بد فاعلاً فلا تخرج احداً

من ولدك ولا حرمك ، ولا نسائك فخليق ان تقتل وهم ينظرون
اليك كما قتل ابن عفان

فابي ذلك ولم يقبله ، قال فذكر من حضره يوم قتل وهو
يلتفت الى حرمه واخوانه وهن يخرجن من اخيبتن جزعاً لقتل من
يقتل معه ، ويقول : لله در ابن عباس فيما اشار علي به .

قال فلما ابى الحسين عليه السلام قبول رأي ابن عباس ودعه
وانصرف ومضى الحسين لوجه

ولقي عبد الله بن العباس ابن الزبير بعد خروج الحسين
فقال له : قد خرج الحسين وخلت لك الحجاز

ولقي الفرزدق بن غالب الشاعر الحسين خارجاً من مكة مع
اسيافه واتراسه فسلم عليه فسأله من انت ؟

قال : امرؤ من العرب

فسأله نبأ الناس

فقال الفرزدق : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية
والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء

فقال له الحسين : صدقت ، الله الامر والله يفعل ما يشاء

ولما خرج الحسين من مكة اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص
ومعه جماعة ارسلهم اخوه عمرو بن سعيد الاشدق ، فقالوا له : انصرف
والا منعناك ، فابي عليهم ومضى وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط

وامتنع الحسين واصحابه منهم امتناعاً قوياً ، وسار حتى التميم فلقى
عيراً اقبلت من اليمن فاستاجر من اهلها جمالاً لرحله واصحابه
وقال لاصحابها :

« من اراد ان ينطلق معنا الى العراق وفيناه كراءه ، واحسنا
صحبته ، ومن اراد ان يفارقنا في بعض الطريق اعطيناه كراءه ،
على قدر ما قطع من الطريق »

فمضى معه قوم وامتنع آخرون والحقه عبد الله بن جعفر بن
ابي طالب بابنيه عون ومحمد ، وكتب اليه كتاباً على ايديهما
يقول فيه :

« اما بعد فاني اسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي ،
فاني اشفق عليك من الوجه الذي توجهت له ان يكون فيه هلاكك
واستئصال اهل بيتك ، وان هلكت اليوم طفي نور الارض ،
فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فاني في اثر
كتابي والسلام »

ولحق به عبد الله يحاول رده ، فلم يوفق ، واعتذر الحسين اليه
ولما آيس منه عبد الله بن جعفر امر ابنيه عوناً ومحمداً بلزومه
والمسير معه ، والجهاد دونه ، ورجع الى مكة .

ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير
التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية

الى خفان ، وما بين القادسية الى القطفطانه ؛ والى جبل لعلع ، واخذ
ما بين واقصة الى طريق الشام ، الى طريق البصرة ، فلا يدعون
احداً بلج ولا احداً يخرج .

وتوجه الحسين عليه السلام ، نحو العراق حتى نزل ذات
عرق ، ولما بلغ الحاجز ، كتب الى اهل الكوفة مع قيس بن مسهر
الصيداوي يعرفهم قدمه ؛ وبأمرهم بالجد في امرهم^(١)
ولما انتهى قيس الى القادسية اخذه الحصين فبعث به الى ابن
زياد ، فقال له ابن زياد :

— اصعد القصر فشب الكذاب ابن الكذاب الحسين

ابن علي

فصعد قيس وحمد الله واثى عليه ثم قال :

« ان هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا رسوله اليكم وقد فارقتك
بالحاجز فاجيبوه » ثم لعن ابن زياد واباه واستغفر لعلي
فامر به ابن زياد فرمى من اعلى القصر ، فتقطع ومات
واقبل الحسين يسير نحو الكوفة وانتهى الى ماء من مياه
العرب فاذا عليه عبد الله بن مطيع وهو منصرف من العراق
فلم رأى الحسين قام اليه وسلم عليه ، وقال :

— يا بني انت وامي يا ابن رسول الله ما اخرجك من حرم الله
 وحرمة جدك .

فاخبره الحسين بما كتب به اليه اهل الكوفة ، فقال له
 عبد الله :

— انشدك الله في حرمة الاسلام وقريش ان تنتهك ولئن
 طالبت ما في ايدي بني امية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك
 احداً ، فابى الا ان يمضي

ثم سار الحسين حتى انتهى الى (زرود) فنظر الى فسطاط مضر وب
 فسأل عنه ، فقيل له هو زهير بن القين البجلي ؛ وكان عثمانياً
 قد حجج واقبل من مكة ، فاستدعاه الحسين ، فشق عليه ذلك ، ثم
 اجابه فلما عاد من عنده كان مشرق الوجه ، ظاهر البشر ، فانتقل
 بفسطاطه الى مقربة من فسطاط الحسين ثم قال لاصحابه : « من
 احب منكم ان يتبعني والا فانه آخر العهد » ثم طلق زوجته ، وقال
 لها : الحقى باهلك ، فاني لا احب ان بصيبك بسبي شر ، ولزم
 الحسين حتى قتل معه .

وانى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل بالعملية^(١) ، لقيه اعرابي
 من بني اسد فسألها عن الخبر فقالت له :

« يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم عليك فارجم »

واخبراه بقتل ابن عقيل

ويقول ابو مخنف عن الاعرابيين انهما قضيا حجها ولحقا
بالحسين فادر كاه ، وقد مر برجل وهم ان يسأله ، ثم تركه ، قالا
فجئنا ذلك الرجل وسألناه ، فقال :

— والله لم اخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل ؛
وهاني بن عروة رأيتهما يجران بارجلهما بالسوق
قالا : فلحقنا الحسين واخبرناه فجعل يقول : انا لله وانا اليه
راجعون ، مرارا

عندئذ قال للحسين بعض اصحابه : « نشدك الله الا رجعت
من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر بل نتخوف عليك ان
يكونوا عليك »

فوثب بنو عقيل وقالوا : « والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا
والا نذوق ما ذاق مسلم »

فقال الحسين : لا خير في العيش بعد هؤلاء

فقال له بعض اصحابه : انك والله ما انت مثل مسلم بن عقيل
ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك اسرع !!

ثم ارتحلوا وكان لا يربء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى
(زباله) فاتاه خبر مقتل اخيه من الرضاة عبد الله بن يقطر وكان
مرحبه الى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله ، فاخذته

خيل الحسين فسيره من القادسية الى ابن زياد ، فقال له : اصعد فوق
 القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى ارى فيك رأبي ،
 فصعد واعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد واباه ، فلقاه من
 القصر فتكسرت عظامه

واتاه رجل يقال له عبد المؤمن بن عمير اللخمي فذبحه ، فغيب
 ذلك عليه ، فقال انما اردت ان اريجه وقد رأيت به رمقاً

واستقبل الحسين بربالة رسول محمد بن الاشعث وعمر بن سعيد
 فاخبراه الخبر وبلغاه الرسالة ، وما كان من امر مسلم بن عقييل
 وخذلان اهل الكوفة اياه بعد ان باعوه ، فاستيقن الحسين صحة
 الخبر ، وافظعه قتل مسلم وهاني ، وقال كل ما حلم نازل ، وعند الله
 نحتسب انفسنا ، وفساد امتنا ، ثم التفت الى من معه وقال :

— قد خذلتنا شيعتنا فمن احب منكم ان ينصرف فلينصرف

ليس عليه منا ذمام

فتفرقوا مبيتاً وشمالاً حتى بقي في اصحابه الذين جاءوا معه من
 المدينة ، ونفر يسير من انضموا اليه ، وانما فعل ذلك لانه علم ان
 الذين اتبعوه لما اتبعوه وهم يظنون انه يأتي بلاداً قد استقامت له
 طاعة اهله ، فاراد ان يعلموا على ما يقدمون عليه ، حتى لا يصحبه
 الا من يريد مواساته والموت معه

ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقية رجل من بني عكرمة
 فسلم عليه واخبره بتوطيد ابن زياد الخيل ما بين القادسية الى العذيب
 رصداً له ، ولقي الاعراب فاخبروه انهم لا يستطيعون ان يلبجوا ولا
 ان يخرجوا .

وكان غرض ابن زياد من ربط الطرق التي تؤدى الى الكوفة
 بخيله ورجاله ان لا يدع الحسين يصل اليها ، دون ان تدممه رجاله
 وتقف في وجهه خيله ، ولعله كان يبغي بذلك ان يمنع عن اهل
 الكوفة اخبار الحسين وحر كات جماعته مخافة اهتياجهم وثورتهم ،
 مع علمه بظمولهم وانكسارهم وضعف انفسهم ، ولكنها السياسة ،
 والدهاء والحيلة لا تسمح بان تؤتى من خلفها وتطعن من ظهرها .
 وقد اظهر ابن زياد في ما انصرف اليه من تنظيم اموره ، وتثبيت
 شوؤونه ، وحشد مسالحه ورجاله ، انه كان يريد القضاء على الحسين
 وشيعته قبل ان يعلم اهل الكوفة وغير اهل الكوفة بشيء من
 خبره ، وامر من اموره ، وفي ذلك برهان على رغبته في القتل
 وسفك الدماء دون ما سبب ظاهر ، ومصالحة قاهرة ، لان الحسين
 لم يكن لديه من القوة والرجال ما يخشى ابن زياد معهم ثورة او
 اضطراباً ، و كان بطوقه لو اراد سلاماً ، ولم يبلغ خصومة و حرباً
 ان يأخذ الحسين رضي الله عنه الى الكوفة ويبعث الى يزيد بالخبر

يطلب منه الرأي والمشورة ، ولكنه ارادها مذمجة مفجعة ، لا
 مبرر لها ولا فائدة منها ، الا ما نعتقده من انفاقه ويزيد على ذلك
 ليخلو الجو عندئذ ليزيد وامثال يزيد ، وينتهي بمقتل الحسين من
 بطالب بالخلافة ، ويدعو الى السلطان والملك



ولما ترأى الجيشان

بث ابن زياد سراياه ، في طول العراق وعرضه ، وفي كل
سبيل يضرب في الارض ؛ ويتصل بالكوفة ، او ينتهي اليها ، وقد
القي في روعه ان الحسين ولا بد واقع على احد سراياه ، وانه لن
يفلت منه هذه المرة كما افلت من عامل المدينة وامير مكة

وقد طوى الحسين رضي الله عنه واهله الاديم بين مكة
والكوفة في شيء كثير من النصب والمشقة ، فقد كانت الارض
مضطربة السبل ، متعوجة الطرق ، غير مستقيمة الخطط ، وكانت
الى ذلك كله منحدره منحرفة مليئة بالاغوار والانجاد والرمال ،
وكان الحر مديباً ، والهواء فاتراً لاذعاً قوياً ، فلما وصل الحسين
وجامعته الى شراف بات ليلته فيها - وشراف هذه على حدود
العراق - ثم سار منها فلما انتصف النهار واشتد الحر ، ترأى له
خيال ابن زياد ، فقال الحسين :

- اما هنا مكان يلجأ اليه ، او شرف نجعله خلف ظهورنا ،

ونستقبل القوم من وجه واحد

فقال زهير بن القين : بلي هذا جبل (ذي حسم) الى جنبك تميل

اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد .

فقال اليه فما كان باسرع من ان طلعت الخيل ، وعدلوا اليهم
فسبقهم الحسين الى الجبل ، ونزل وجعله وراء ظهره ، وامر بابنته
فضربت .

وجاء القوم وهم الف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي ،
وهم مقدمة الجيش الذي بعثه ابن زياد فوقفوا قبالة الحسين واصحابه
في بحر الظهير ، والحسين واصحابه معتمون متقلدو سيوفهم ؛ فقال
الحسين لاصحابه وفتيانه « اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفاً »
ففعلوا

وكان مجيء الحر من القادسية ارسله الحصين بن نمير التميمي ،
فلما شرب الحر ومن معه وتغمرت خيلهم جلسوا جميعاً في ظل خيولهم
واعنتها في ايديهم حتى حضرت صلاة الظهر ، فامر الحسين مؤذنه
الحجاج بن مسروق الجعفي بالأذان فاذن ، وخرج الحسين اليهم في
ازار ورداء ونعلين وخطب الناس من اصحابه واعدائه ، فحمد الله
واثني عليه ثم قال :

« ايها الناس لم آتكم حتى اتني كتبكم ورسلكم ؛ ان
اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد
جئتكم فان تعطوني ما اطمئن اليه من عهدكم ومواثيقكم اقدم
مصركم ، وان لم تفعلوا وكنتم لقدمي كارهين ، انصرفت عنكم

الى المكان الذي اقبلت منه «

فسكتوا ولم يتكلم احد منهم بكلمة

فقال للمؤذن : اقم ، فاقام الصلاة ، وقال الحسين للحر :

— أترى ان نصلي انت باصحابك واصلي باصحابي

فقال الحر : بل نصلي جميعاً بصلاتك

فصلى بهم الحسين الظهر ثم دخل واجتمع اليه اصحابه وانصرف

الحر الى مكانه

فلما جاء وقت العصر نادى مؤذن الحسين ، ثم تقدم الحسين

وصلى بالفريقين ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله واثنى عليه وقال :

— اما بعد ايها الناس فانكم ان تتقوا وتعرفوا الحق لاهله

يكن ارضى الله ، ونحن اهل البيت اولى بولاية هذا الامر من

هوؤلاء المدعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان

فان انتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأبكم غير ما اتتني به

كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم

فقال الحر بن يزيد : انا والله ما ندري ما هذه الكتب

والرسل التي تذكر

فاتي الحسين بنجرجين مملوءين صحفاً فنثرها بين ايدي الحر

واصحابه .

فقال الحر : اننا لسنا من هوؤلاء الذين كتبوا اليك ، وقد

أمرنا انا اذا لقيناك ان لا تفارقك حتى تقدمك الكوفة على ،
عبيد الله بن زياد

فقال الحسين : الموت ادنى اليك من ذلك ، ثم امر اصحابه
فركبوا لينصرفوا نحو الحجاز ، فمنعهم الحر من ذلك

فقال له الحسين : ما الذي تريد ؟

قال الحر : اريد ان انطلق بك الى الامير عبد الله بن زياد

قال الحسين اذن والله لا اتبعك

قال الحر : اذن والله لا ادعك

فترادا الكلام وكثر الجدل بينهما ، فقال له الحر « اني لم
اوامر بقتالك ، وانما امرت ان لا افارقك حتى اكتب الى الامير
عبد الله ففعل الله ان يأتي بامر يوزقني فيه العافية ، ولا ابتلي بشيء
من امرك »

فقام الحسين يخطبهم فحمد الله واثني عليه ، ثم قال
« ايها الناس ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى
سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير
ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله ، الا وان
هو لاهل قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واطهروا
الفساد ، وعطلوا الحدود واستأثروا بالنبي ، واحلوا حرام الله ،

وحرموا حلاله، وانا احق من غيري وقد اتيتي كتبكم ورسلكم
 بيتكم وانكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فان بقيتم على بيعتكم
 تصيبوا رشدكم ، وانا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع انفسكم ، واهلي مع اهلكم ، فلعمري
 في اسوة ، وان لم تفعلوا ونقضتم عهدي ، وخلعتم بيعتي ، فلعمري
 ما شي لكم بنكير ، والمغرور من اغتر بكم فحظكم اخطاتم
 ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله
 عنكم والسلام»

فقال له الحر : اني اذكرك الله في نفسك فاني اشهد لئن

قاتلت لتقتلن

فقال له الحسين : ابا الموت تخوفني وهل يعدونكم الخطابان
 تقتلوني وما ادري ما اقول لك ولكنني اقول كما قال اخو الاوس
 لابن عمه وهو يريد نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم فخوفه
 ابن عمه ، وقال له : اين تذهب فانك مقتول ، فاجابه

سامضي وما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً
 وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مشوراً وفارق مجرماً^(١)
 فان عشت لم اندم وان مت لم الم كفى بك ذلاً ان تعيش وترغماً
 فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه ، فكان يسير باصحابه ناحية حتى

انتهوا الى عذيب المجانن و كان به هجائن النعمان ترعى هناك فنسب اليها ، فاذا هم باربعة نفر اقبلوا من الكوفة على رواحلمم يجنبون فرساً لنافع بن هلال ، ومعهم دليلهم طرماح بن عدي ؛ فانتهوا الى الحسين فاقبل عليهم الحر وقال :

— ان هو ءلاء الزفر من اهل الكوفة وانا حابسهم او رادهم
فقال الحسين : لامنعنهم مما امنع منه نفسى انما هو ءلاء انصاري
وهم بمنزلة من جاء معي فان بقيت على ما كان بيني وبينك والا
ناجزتك !

فكف الحر عنهم ، فقال لهم الحسين : اخبروني خبر الناس
خلفكم .

فقال له مجمع بن عبيد الله العامري وهو احدهم : اما اشرف
الناس فقد اعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم ، فهم جماعة واحدة عليك
واما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك ، وسيوفهم غداً
مشهورة عليك

وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر فاخبروه بقتله وما كان منه ،
فترقرقت عيناه بالدموع ، ثم قرأ :

« فنيهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً »

وقال : « اللهم اجعل لنا ولهم الجنة ، واجمع بيننا وبينهم في

مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك »

ثم حدثه الطرماح بن عدي بان ابن زياد قد ارسل له قوة كبيرة ، وسأله ان ينصرف من مكانه الى مكان آخر يمنع عنه عن خصمه .

فقال له الحسين : جزاك الله وقومك خيراً ، انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لا تقدر معه على الانصراف ، ولا ندرى علام تتصرف بنا وبهم الامور

ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بني مقاتل ، فنزل الفريقان جميعاً ، وكل فريق منها على غلوة من الآخر فرأى الحسين فسطاطاً مضروباً ، فقال : لمن هذا ؟

فقيل : لعبد الله بن الحر الجعفي

فقال : ادعوه الي ، فلما اتاه الرسول قال :

— ما خرجت من الكوفة الا لكثرة من رأيتهم خرج لمحاربتهم ، وخذلان شيعته و كراهية ان يدخلها الحسين .

وجاءه فسلم عليه ، فدعاه الى نصره ، فقال عبيدالله :

— والله اني لاعلم ان من شابعك كان السعيد في الآخرة ،

ولكن ما عسى ان اغني عنك

فقال الحسين فان لم تكن تنصروننا فانق ان تكون ممن

تقاتلنا .

فقال ابن الحر : اما هذا فلا يكون ابداً .

ولما كان في آخر الليل امر الحسين بالرحيل وسار من قصر
 بني مقاتل ، ولما طلع الفجر نزل وصلى باصحابه ثم ركب واخذ
 يتياسر بهم وكلما اراد ان يميل نحو البادية منعه الحر بن يزيد ورده
 واصحابه نحو الكوفة حتى انتهى الحسين الى نينوى فنزل
 بها ، واذا راكب على نجيب ، عليه السلاح متسكب
 قوساً مقبل عليهم فوقفوا ينتظرونه ، ولما انتهى اليهم سلم على الحر
 واصحابه ، ولم يسلم على الحسين ، ودفع الى الحر كتاباً من ابن
 زياد ، واذا فيه :

« اما بعد فشدد على الحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك
 رسولي فلا تنزله الا بالعرء ، في غير حصن ، وعلى غير ماء ، وقد
 امرت رسولي ان يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك امرى
 والسلام »

فلما قرأ الكتاب قال هذا كتاب الامير عبيدالله يأمرني ان
 اشدد بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه ، وقد امر رسوله ان
 لا يفارقني حتى انفذ امره
 وراح الحر يأخذهم بالنزول على غير ماء ولا في قرية ، فقالوا
 ادعنا في نينوى او تنزل في غيرها

فقال : لا استطيع ، هذا الرجل قد بعث عينا علي
 فقال زهير بن القين للحسين : انه لا يكون والله بعد ماترون

الاما هو اشد منه ، يا ابن رسول الله ان قتال هؤلاء اهون علينا من
قتال ما ياتينا بعدهم ، فلعمري لياتينا بعدهم ما لا قبل لنا به فهل
نناجز هؤلاء

فقال الحسين : اني اكره ان ابدأهم بالقتال
فقال له زهير : سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة
وهي على شاطئ الفرات فان منعونا فاتلناهم
فقال الحسين : ما هي ، قال العقر قال : اللهم اني اعوذ بك
من العقر

ثم سار وسار الحر قليلاً حتى اتوا مكاناً قريباً من الفرات
اسمه كربلاء ، فوقف الحر واصحابه امام الحسين ومن معه ومنعوه
عن المسير

فنزل الحسين بهذا المكان في يوم الخميس ثاني محرم سنة
احدى وستين للهجرة .

ولما كان اليوم الثاني من نزول الحسين كربلاء ، قدم عمر بن
سعد بن ابي وقاص من الكوفة في اربعة آلاف ارسله ابن زياد
بهذا الجيش لمحاربة الحسين ومقاتلته ، وكان ابن زياد قد ولاء على
الديلم ، فلما كان امر الحسين نديه لقتاله فاستعفاه فابي ، فوافي
الحسين برجاله وانضم اليه الحر بن يزيد فيمن معه ، وامر عمر بن سعد

عروة بن قيس الاجمسي ان يأتي الحسين ، فاستحي ان يأتيه ،
 فعرض ذلك على الرومساء الذين كاتبوه ، فكلهم ابى ذلك وكرهه
 فارسل عمر قررة بن سفيان الخنظلي يسأله ما الذي جاء به
 فقال الحسين : كتب الي اهل مصركم هذا ان اقدم عليهم ،
 فلما اذا كرهوني فاني انصرف عنكم الى مكة
 فكتب عمر الى ابن زياد يعرفه ذلك ، فلما قرأ ابن زياد
 الكتاب قال :

الآن اذ علقت مخالبتنا به ، يرجو النجاة ولات حين مناص
 ثم كتب الى عمر يأمره ان يعرض على الحسين بيعة يزيد ؛
 فاذا فعل ، رأينا رأينا ، وان يئنه ومن معه من الماء ، كما فعل بامير
 المؤمنين عثمان بن عفان
 فارسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس ،
 فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين واصحابه وبين الماء ان يستقوا
 منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة ايام ، ونادى عبد الله بن
 ابي الحصين الازدي :

— يا حسين ، اما تنظر الى الماء والله لا تذوقون منه قطرة
 واحدة حتى تموتوا عطشاً

ولما اشد العطش على الحسين واصحابه امر اخاه العباس بن علي
 فسار في عشرين راجلاً يحملون القرب وثلاثين فارساً ، فذنو امن

الماء فقاتلوا عليه، وملاً والقرب وصادوا

ثم بعث الحسين الى عمر بن سعد عمرو بن فرظة بن كعب
الانصاري : ان القني الليلة بين عسكري وعسكريك .

فخرج اليه عمر واجتمعا ليلاً فتناجيا طويلاً ثم انصرف كل
واحد منهما الى عسكريه ، ولم يدر احد ما قالا .

وقال عقبة بن سمان : صحبت الحسين من المدينة الى مكة
ومن مكة الى العراق ولم افارقه حتى قتل ، وسمعت جميع مخاطباته
الى يوم قتله فوالله ما زاد علي ان قال لهم

— دعوني ارجع الى المكان الذي اقبلت منه او دعوني اذهب
في هذه الارض العريضة حتى ننظر الى ما يصير اليه امر الناس ،
فلم يفعلوا

ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً او رابعاً ، فكتب
عمر بن سعد الله الى عبيد الله بن زياد يقول :

« اما بعد فان الله اطفي الثائرة وجمع الكلمة وقد اعطاني الحسين
ان يرجع الى المكان الذي اقبل منه او ان تسيره الى اي ثغر من
الثغور شئت ، او ان يأتي يزيد امير المؤمنين فيضع يده في يده ،
وفي هذا لكم رضي ، ونلامة صلاح »

فلما قرأ ابن زياد الكتاب ، قال هذا كتاب رجل ناصح لاميره ،
مشفق على قومه ، نعم قد قبلت

فقام اليه شمر بن ذي الجوشن ، فقال : اتقبل هذا منه وقد
 نزل بارضك والى جنبك ، والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده
 في يدك ليكون اولى بالقوة والعزة ، ولتكونن اولى بالضعف
 والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، ولكن لينزل على حكمك هو
 واصحابه فان عاقبت كنت ولي العقوبة ، وان عفوت كان ذلك
 لك ، والله لقد بلغني ان الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين
 العسكريين .

فقال ابن زياد : نعم ما رأيت ، اخرج بهذا الكتاب الى عمر
 فليعرض على الحسين واصحابه النزول على حكمي فان فعلوا ، فليبعث
 بهم الي سلماء وان ابوا فليقاتلهم ، وان فعل فاسمع له واطع ، وان
 ابى فانت الامير عليه وعلى الناس ، واضرب عنقه وابعث الي برأسه ،
 وكتب معه الى عمر بن سعد

« اما بعد فاني لم ابعثك الى الحسين لتكف عنه ، ولا لتقتل
 له عندي شافعاً ، انظر فان نزل الحسين واصحابه على الحكم ،
 واستسلموا فابعث بهم الي سلماء ، وان ابوا فازحف اليهم حتى تقتلهم
 وتمثل بهم ، فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فاوطي الخيل
 صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم ، فان انت مضيت لامرنا
 جزيناك جزاء السامع المطيع ، وان انت ايت فاعتزل جندنا واخل
 بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكري والسلام »

حمل شمر كتاب ابن زياد الى عمر فقرأه وقال له :
 - مالك وملك قبح الله ما جئت به ، والله اني لاظنك انت
 ثنيته ان يقبل ما كنت كتبت اليه له ؟ افسدت علينا امرآ كنا
 رجونا ان يصلح ، لا يستسلم والله الحسين ابدأ ، ان نفسا اية ليين
 جنيبه .

فقال شمر : اخبرني ما انت صانع ، اتمضي لامر اميرك وتقاتل
 عدوه والا فحل بيني وبين الجند قال ؛ لا وانا اتولى ذلك وكن انت
 على الرجالة .

ونهض عمر بن سعد الى الحسين عشية الخميس وليلة الجمعة
 لتسع ليال مضين من المحرم ، وجاء شمر فوقف على اصحاب الحسين
 ودعا العباس بن علي واخوته جعفرآ وعبد الله وعثمان فخرجوا اليه ،
 انتم يا بني اختي آمنون

فقالوا له : لعنك ولعن امانك اتؤمننا وابن رسول الله لا امان
 له ، لا حاجة لنا في امانكم

ثم ركب عمر والناس معه والحسين جالس امام بيته محببياً
 بسيفه اذ خفق برأسه على ركبته ، وسمعت اخته زينب الضجة
 فعدت منه وايقظته فرفع رأسه وقال له اخوه العباس يا اخي : اتاك
 القوم ، فقال : اركب بنفسي فقال : بل اروح انا فاتاهم في نحو
 عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فسألم

فقالوا : جاء امر الامير ان تعرض عليكم ان تنزلوا على حكمه او
تتناجزكم

قال : فلا تعجلوا حتى ارجع الى ابي عبد الله ، فاعرض عليه

ما ذكرتم .

فوقفوا ورجع العباس اليه بالخبر ، ووقف اصحابه يخاطبون
القوم وبذكروهم الله ، فلما اخبره العباس بقولهم ، قال له الحسين :
- ارجع اليهم ، فان استطعت ان تؤخرهم الى غد لعننا نصلي لرينا
هذه الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم اني احب الصلاة له ،
وتلاوة كتابه و كثرة الدعاء والاستغفار ، و اراد الحسين كذلك ان
يوصي اهله . وقد ادرك انه مفارقهم عما قريب

فرجع اليهم العباس وقال لهم : انصرفوا عنا العشي حتى ننظر
في هذا الامر ، فاذا اصبحنا التقينا ان شاء الله ، فاما رضينا الامر
واما رددناه .

فقال عمر بن سعد : ما ترى يا شمر ؟

قال : انت الامير

فاقبل على الناس فقال : ما ترون ؟

فقال له عمر بن الحجاج الزبيدي : سبحان الله ، والله لو كان

من الديلم ثم سألكم هذه المسألة لكان ينبغي ان يجيبوه

وقال قيس بن الاشعث بن قيس : اجه لعمرى ليصبحنك
بالمقاتل غدوة .

فقال : لو اعلم انه يفعل ما اخرته العشية

ثم رجع العباس ومعه رسول عمر بن سعد فقال انا اجلناكم الى
غد وانصرف عنهم

فجمع الحسين اصحابه بعد رجوع عمر في اول الليل ،
فقال :

«اثني على الله احسن الثناء واجده على السراء والضراء ، اللهم
اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة ، وجعلت لنا اسمعاً وابصاراً
وافئدة وعلمتنا القرآن وفهمتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين ،
اما بعد فاني لا اعلم اصحاباً اوفى ولا خيراً من اصحابي ، ولا اهل
بيت ابر ولا اوصل من اهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً خيراً ، فقد
بررتم وعاونتم ؛ والقوم لا يريدون غيري احداً واني لاظن بومنا
من هؤلاء الاعداء غداً ، واني قد اذنت لكم جميعاً فانطلقوا في
حل ليس عليكم مني ذمام ؛ هذا الليل قد غشيكم ففرقوا في
سواده وانجوا بانفسكم

فقال له اخوته وابناؤه وبنو اخيه وابنا عبد الله بن جعفر :
لم نفعل هذا لنبقى بعدك لا ارانا الله ذلك ابدأ ، بدأهم بذلك العباس

ابن علي واتبعه الجماعة فتكلموا بمثله ، وقالوا :

— معاذ الله ، وما نقول للناس اذا رجعنا اليهم ؟ نقول تو كنا
سيدنا وبني عمومنا خير الاعوام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم
برمح ، ولم نضرب بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا ، لا والله لانفعل
نقدبك بانفسنا وامواتنا واهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك ،
فقبح الله العيش بعدك

وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال : أنحن نتخلى عنك
ولم نعذر الى الله في اداء حقك ، اما والله لا افارقك حتى اكسر
في صدورهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن
معى سلاحي لغدفتهم بالحجارة دونك ، حتى اموت معك
ونكلم اصحابه بنحو هذا

وكان علي بن الحسين تلك العشية مريضاً تمرضه عمته زينب
فسمع اياه وهو في خباء له وعنده جوين مولى ابي ذر الغفاري ،
يعالج سيفه وبصلحه والحسين يقول :

يادهر اف لك من خليل كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب او طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل وكل حي سالك سبيلي

فاعادها مرتين او ثلاثاً فادرك ما اعتزمه والده ولزم السكوت ؟

وسمعه زينب بنت علي اخته فلم تملك نفسها ان وثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه ونادت :

- واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ، مانت امي فاطمة ، وعلي ابي ، وحسن اخي ، ياخليفة الماضي ، وثمان الباقي .

فنظر اليها الحسين وقال : « ياخية لا يذهبن حلمك الشيطان ثم قال : لو ترك القطا لنام»

فقات : واويلتاه افتغصبك نفسك اغتصابا فذلك اقرح لقلبي واشد على نفسي واطول لحزني ، وخرت مغشياً عليها .
فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها ، وقال :

- اتقي الله وتعزي بعزاء الله ، واعلمي ان اهل الارض يموتون واهل السماء لا يبقون ، وان كل شيء هالك الا وجه الله ، ابي خير مني ، وامي خير مني ، واخي خير مني ، ولي ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة ... فغزاها بهذا ونحوه ، وقال لها :

- ياخية اني اقسم عليك لا تشقي علي جيباً ، ولا تخمشي وجهاً ، ولا تدعي علي بالويل والثبور ، ان انا هلكت

ثم خرج الى اصحابه فامرهم ان يقربوا بعض ليوتهم من بعض وان يدخلوا الاطاب بعضها في بعض ، وبكونوا بين يدي البيوت

فيستقبلون القوم من وجه واحد ، والبيوت عن يمينهم وعن شمالهم
 ومن ورائهم ، ورجع الى مكانه فقام الليل كله يصلي ويستغفر ،
 وقام اصحابه كذلك يصلون ويستغفرون ويدعون ، وخيول حرس
 عدوهم تدور من ورائهم ، تحرسهم حتى لا يفر احد منهم ، و كأنما
 كان يريد القوم قتلهم ، وكلهم ، والقضاء عليهم جميعهم



كرب - وبلاء !

اصبحت شمس الجمعة لعشر خلون من محرم محرمة الاطراف ،
 دامية المعالم ، واصبح الحسين فعيي اصحابه بعد صلاة الصبح ، وكانوا
 يعدون اثنان وثلاثون فارساً واربعون رجلاً ، فجعل زهير بن القين
 في ميمنة اصحابه ؛ وحبيب بن مظاهر في ميسرتهم ، واعطى رابته
 العباس اخاه ، وجعل البيوت في ظهور اصحابه ، وامر بحطب وقصب
 فالقي في مكان منخفض من ورائهم بما يشبه الساقية ، واضرم فيها
 النار حتى لا يوت في اصحابه من خلفهم

وعبي عمر بن سعد رجاله فكان على ميمنته عمر بن الحجاج
 الزبيدي ، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن ، وعلى الخيل عروة بن
 قيس الاحمسي ، وعلى الرجالة شيبث بن ربيعي ، واعطى الراية
 دريداً مولاه .

ووقف الحسين عليه السلام في جماعته وصفوته خطيباً فقال :
 بعد حمد الله والثناء عليه « ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى
 اعظيكم بما يجب لكم علي وحتى اعذر اليكم ، فان اعطيتموني
 النصف كنتم بذلك اسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وان لم تقبلوا

مني العذر فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة
 ثم اقصوا ولا تنظروا ، ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو
 يتولى الصالحين

فلما سمع اخوانه وبناته كلامه ، بكين وصحن وارفعت اصواتهن
 فارسل اليهن اخاه العباس وابنه علياً ليسكتاهن ، وقال وكأنه يحاور
 نفسه : لعمرى ليكثرن بكأوهن ، ولعله كان ينظر الى ما خلف
 ستر الغيب فيرى انه صريع وانه مقتول .

فلما سكتن قال : اما بعد فانسبوني وانظروا من انا ثم راجعوا
 انفسكم فعاتبوها ، وانظروا هل يصلح وبجل لكم قتلي وانتهاك
 حرمتي ، اأست ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه ، واول المؤمنين بالله
 والمصدق لرسوله ، أوليس حمزة سيد الشهداء عم ابي ، أوليس جعفر
 الشهيد الطيار في الجنة عمي ، اولم يلقكم قول مستفيض ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولاخى هذان سيدا شباب اهل الجنة
 فان صدقتموني فيما اقول وهو الحق ، والله ما نعدت كذباً منذ طلعت
 ان الله يمقت عليه اهله ، وان كذبتموني فان فيكم من اذا سألتهموه
 عن ذلك اخبركم ، اما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي ??
 وتكلم بعض رجال الحسين رضي الله عنه بمثل ذلك ، ولكن
 شمر بن ذي الجوشن وغيره من رجال ابن زياد كانوا قد اجمعوا
 امرهم على محاربة الحسين او بنزل على حكم ابن زياد ، وابوا على

الحسين ماطلبه منهم من تسييره الى يزيد في دمشق ، ذلك ان ابن
 زياد كان يعلم ان يزيداً ليس يستطيع الى الحسين سيلاً في العاصمة ،
 وانه ولا بد مضطر الى حفظ حقه ، والعناية به واكرامه ، وكان
 الى ذلك يعلم ان هذه فرصة لن تسمح له الايام بمثلها ، من حمل
 حفيد رسول الله على النزول تحت حكمه ، وهو من يعلم الناس جميعاً
 اضطراب نسب ، وانقضاء رحم ، وسوء خلق ، وما كان لمثل
 الحسين ان ينزل على حكم هذا ، فثارت عند ذلك مروءة الحر
 ابن يزيد الذي راح يجس الحسين وجماعته عن الرجوع الى مكة
 اول الامر ، فتقدم نحو عمر بن سعد وقال له :

— اصلحك الله ، امقاتل انت هذا الرجل ؟

فقال له : اي والله قتالاً ايسره ان تسقط الرؤوس وتطيح

الايدي .

قال : اما لكم في واحدة من الخصال التي عرض

عليكم رضا

فقال عمر بن سعد : والله لو كان الامر الي لفعلت ؛ ولكن

اميرك قد ابى ذلك

فاقبل بدنونحو الحسين قليلاً قليلاً ، واخذته رعدة ، فقال له

رجل من قومه :

— والله ان امرك لمريب ما رأيت منك قط مثل ما اراه الآن

ولو قيل من اشجع اهل الكوفة لما عدونك .

فقال له : اني اخير نفسي بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة شيئاً ولو قطعت واحرقت

ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين وقال له :

— جعلني الله فداك يا ابن رسول الله ، انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسائرنا في الطريق وجمعجت بك في هذا المكان ، والله ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ولا يبلغون منك هذه المنزلة ابداً ، ولو علمت انهم ينتهون الى ما ارى ما ركبت مثل الذي ركب ، واني قد جئتك تائباً مما كان مني الى ربي ، مواشياً لك بنفسي ، حتى اموت بين يديك ، افترى ذلك توبة ؟

قال : نعم بتوب الله عليك ويغفر لك .

وتقدم الحر امام اصحابه ثم قال :

— ايها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه وقاتله ، باهل الكوفة او عدتموه حتى اذا اتاكم اسلمتموه ، وزعمتم انكم قاتلو انفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه امسكتم بنفسه واحطتم به ومنعتموه من التوجه الى بلاد الله العريضة ، فاصبح كالاسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرراً ، ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات

الجاري يشربه اليهود والنصارى والمجوس ، وتترغ فيه خنازير
السواد وكلابه ، وها هو واهله قد صرعهم العطش بشئ ما خلفتم
محمدآ في ذريته ، لا سقاكم الله يوم الظلم ؛ ان لم تتوبوا وتنزعوا عما
انتم عليه

فرموه بالنبل حتى وقف امام الحسين
وتقدم عمر بن سعد براهته مع دريد ، واخذ سها فرمى
وقال :

— اشهدوا لي اني اول من رمى

ثم رمى الناس وبرزيسار مولى زياد بن سمية وطاب البراز
فخرج اليه عبدالله بن عمير الكلبي وكان قد اتى الحسين من الكوفة
وسارت معه امرأته

فقال له : من انت ؟ فانتسب له ، فقال :

— لست اعرفك ليخرج الي زهير بن القين ، او حبيب بن
مظاهر او بربر بن خضير

فقال له الكلبي : يا ابن الفاعلة وبك رغبة عن مبارزة احد من
الناس ، ولا يخرج اليك احد الا وهو خير منك

ثم حمل عليه وضربه بسيفه حتى صرعه فاشتغل به بضره فحمل
عليه سالم مولى بن زياد ، فلم يابه له حتى غشيه ، وبدره بضربة فاتقاها
ابن عمير بيده اليسرى ، فاطارت اصابع كفه ، ثم مال عليه الكلبي

فضربه حتى قتله ، واخذت امرأته عموداً واقبلت نحو زوجها
وهي تقول :

— فذاك ابي وامي قاتل دون الطيبين ذرية محمد ، فردها نحو
النساء ، فامتنت ، وقالت :

— لن ادعك دون ان اموت معك .

فناداها الحسين وقال : جزيتم من اهل بيتي خيراً ارجعي
رحمك الله فانه ليس على النساء قتال ، فرجعت

وزحف عمرو بن الحجاج في ميمنة عمر على ميمنة اصحاب
الحسين ، فلما دنا منهم جثوا على الركب واشرعوا الرماح نحوهم ،
فلم تقدم خيلهم على الرماح ، فذهبت الخيل لترجع فرشقهم اصحاب
الحسين بالنبل ، فصرعوا منهم رجلاً وجرحوا آخرين ، وتقدم رجل
منهم يقال له عبد الله بن حوزة فاقدم على عسكر الحسين فقال :
افيكم الحسين ؟ فلم يجبه احد فعاها ثلاثاً ، فقالوا نعم فما حاجتك ؟
قال : يا حسين ابشر بالنار

قال له : كذبت بل اقدم على رب رحيم ، وشفيع مطاع
فمن انت ؟

قال : ابن حوزة

فرفع الحسين يديه وقال : اللهم حزه الى النار

فغضب ابن حوزة واقحم فرسه في جدول بينهما فتعلقت رجله

اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى .

قال ابن جرير وابن الاثير: وقع رأسه في الارض وجالت به
الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذة وساقه وقدمه وبقي جانبه الآخر
متعلقاً بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات

وكان مسروق بن وائل الحضرمي قد خرج معهم وقال : اعلي
اصيب رأس الحسين ، فاصيب به منزلة عند ابن زياد ، فلما رأى ما
صنع الله بابن حوزة ، رجع وقال : لقد رأيت من اهل هذا البيت
شيئاً لا اقاتلهم معه ابداً

ونشب القتال بالبارزة ، فبرز جماعة من جيش عمر بن سعد
لاصحاب الحسين رضي الله عنه ، فتغلبوا عليهم ، وقتلوهم كل مقتلة ،
وابلى الحر بن يزيد وغيره من رجال الحسين بلاء حسناً ، وانما كان
النصر لهم لانهم كانوا يطلبون الموت فلا يلاقونه ، ولانهم كانوا
يستمتتون في مبارزة عدوهم ، وهم يعلمون ان الجنة تكون لهم ، واما
خصومهم فكانوا يحاربون طمعاً بالعطاء الوافر ، والريح
الآجل .

وعندئذ صاح عمرو بن الحجاج بالناس ، ان يرموا جماعة
الحسين بالحجارة وان لا يبارزوهم افراداً وحمل عمرو بن الحجاج على
الحسين من نحو الفرات فاضطربوا ساعة ، فصرع مسلم بن عوسجة

الاسدي وانصرف عمرو ، وارتفعت العبرة ومسلم صريع ، فمشی
اليه الحسين وبه رمق فقال :

— رحمك الله يا مسلم بن عوسجة

ودنا منه حبيب بن مظاهر وقال : عز علي مصرعك ابشر
بالجنة ، ولولا اني اعلم اني في اترك لاحقك ، ولا حيت ان توصيني
حتى احفظك بما انت له اهل

فقال : اوصيك بهذا رحمك الله — واوماً يده نحو الحسين —
ان تموت دونه ، فقال افعل ، ثم مات

وقاتل اصحاب الحسين رضي الله عنه قتلاً شديداً ، فكان
واحدهم ما يبارز رجلاً الا قتله ، ولا يهاجم صفاً الا خرقة ، وجثا
يزيد بن زياد الكندي على ركبته بين يدي الحسين وكان رامياً
فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة اسهم ؛ وكل ما رمى يقول له
الحسين :

— اللهم سددرميته واجعل ثوابه الجنة

و كان يزيد هذا في من خرج مع عمر بن سعد ، فلما ردوا
شروط الامام الحسين عدل اليه فقاتل بين يديه حتى قتل
وحمل عندئذ شمر بن ذي الجوشن بميسرة جيش عمر من كل
جانب على اصحاب الحسين فقتلوا له وطاعنوه ودافع عن الحسين

الفرسان من اصحابه دفاعاً عظيماً ؛ وقتل الكاكي وبعدها قتل رجلين
بعد الرجلين الاولين ، وقاتل قتالا شديداً حتى قتل

وراح اصحاب الحسين يقتحمون عدوهم ، واخذت خيلهم
وعلى صهواتها اثنان وثلاثون فارساً ، فلم تحمل على جانب من خيل
اهل الكوفة الا كشفته ، فلما رأى ذلك عروة بن قيس وهو على
خيل اهل الكوفة بعث الى عمر بن سعد فقال :

— الا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ،
ابعث اليهم الرجال والرماة .

فبعث اليهم عمر بن سعد الرماة عليهم الحصين بن نيرة ، وكانوا
خمسائة فتقدم اليهم الحصين ان يرشقوا اصحاب الحسين بالنبل
فرشقوهم ، فلم يلبثوا ان عقروا خيولهم ، وجرحوا الرجال ، وعقر
بالحر بن يزيد فرسه فنزل عنه وقاتلهم بسيفه ، فتكاثروا عليه
حتى قتل .

وقاتل اصحاب الحسين القوم اشد قتال حتى انتصف النهار
ورأى عمر بن سعد ان اصحابه لا يقدرون ان يأتوهم الا من
وجه واحد لاجتماع مضاربهم ، فارسل رجالاً يقوضون البيوت عن
يمينهم وشمالهم ليحيطوا بهم ، فكان الثلاثة والاربعة من اصحاب
الحسين يتخللون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوض وينهب

ويرمونه من قريب او بصرعونه ، فامر عمر بن سعد بالبيوت
فاحرقت ، فقال لهم الحسين :

- دعوهم فليحرقوها فانهم اذا احرقوها لا يستطيعون ان
يجوزوا اليكم منها ، فكان كذلك

وخرجت امرأة الكلبي فجلست عند رأسه تمسح التراب عن
وجهه ، وتقول هنيئاً لك الجنة ، فامر شمر غلاماً اسمه رستم فضرب
رأسها بالعمود فماتت مكانها

وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى
عليّ بالنار حتى احرق هذا البيت على اهله ، فخرج النساء منه ، فنهاه
شيث بن ربعي فانتهى وذهب لينصرف فحمل عليه زهير بن القين
في عشرة من اصحاب الحسين ، فارتد شمر ، واصحابه عن
البيوت وقتلوا ابا عزة من اصحاب شمر فعطف اصحاب
شمر عليهم فكثروهم ، وكانوا اذا قتل منهم الرجل او الرجلان
تبين فيهم قتلهم واذا قتل في اوثك لا يتبين فيهم لكثرتهم

وصلى الحسين باصحابه الظهر صلاة الخوف ، وقاتل زهير بن
القين قتالاً شديداً فحمل عليه كثير بن عبد الله الشامي ومهاجر بن
اوس فقتلاه !

وكان نافع بن هلال البجلي قد كتب اسمه على افواق نبله
وكانت مسمومة ، فقتل بها اثني عشر رجلاً سوى من جرح فاخذ

اسيراً ، فاخذه شمر بن ذي الجوشن فأتى به عمر بن سعد والدم يسيل
على وجهه وهو يقول :

« لقد قتلتم منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرحتم »
ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني »

فانتضى شمر سيفه ليقتله ، فقال له نافع :

— والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك ابن تلقى الله
بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منا يائنا على يدي شرار خلقه

فغضب شمر وقتله ، ثم حل على اصحاب الحسين فلما رأوا انهم
قد كثروا وانهم لا يقدرون ان يمنعوا الحسين ولا انفسهم تنافسوا
ان يقتلوا بين يديه ، فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريان
اليه ، فجعلا يقانلان بين يديه حتى قتلا

ثم قام حنظلة بن سعد الشبامي بين يدي الحسين فنادى : يا اهل
الكوفة ، اني اخاف عليكم يوم التناد ، لا تقتلوا حسيناً ، فيستحكم
الله بعذاب ، وقد خاب من افترى ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل

وتقدم الفتيان الجابريان سيف بن الحارث بن سريم ، ومالك
ابن عبد بن سريم ، وهم ابنا عم وهخوان لأُم ، فودعا الحسين وقانلا
حتى قتلا

واتى عابس بن ابي شبيب الشاكري وشوذب مولى شاكر
الى الحسين فسلما عليه وتقدما فقانلا ، فقتل شوذب ، واما عابس

خطب البراز فتحاماه الناس لشجاعته

فقال لهم عمر : ارموه بالحجارة

فرموه من كل جانب ، فلما رأى ذلك القى درعه
ومغفره ، وحمل على الناس فهزمهم بين يديه ثم رجعوا عليه
وقتلوه

ولما رأى الضحاك بن عبد الله المشرقي ان اصحاب
الحسين قد اصبوا ولم يبق معه غير اثنين منهم ، جاء الى الحسين
وقال :

يا ابن رسول الله قد علمت اني قلت لك اني مقاتل عنك
ما رأيت مقاتلاً فاذا لم ارم مقاتلاً ، فانا في حل من الانصراف
فقال له الحسين : صدقت ، وكيف لك بالنجاء ؟ ان قدرت
عليه ؟ فانت في حل .

وكان ادخل فرسه فسطاطاً بين البيوت ، اذ كانت خيل
اصحاب الحسين تعقر ؟ فقاتل راجلاً وقتل رجلين ، وقطع
يد آخر .

فلما اذن له الحسين ، استخرج الفرس من الفسطاط واستوى
على منها وحمل على عرض القوم فافرجوا له وتبعه منهم خمسة عشر
رجلاً ففانهم

وبقية من اصحاب الحسين سويد بن عمرو بن ابي المطاع
 وبشير بن عمرو الحضرمي فقاتلا حتى قتلا
 وكان سويد بن عمرو آخر من قتل مع الحسين من اصحابه
 فلم يبق معه الا اهل بيته خاصة وهم عدد قليل



شهيد في العراء

وكان النهار قد انتصف او كاد ، وقد تفانى انصار الحسين في القتال دونه ، والدفاع عنه ، فصرعوا واحداً بعد واحد ، واستشهدوا شهيداً بعد شهيد ، وقد تخيروا امنيتهم ونسابقوا اليها ، وكلهم مدرك ان الحسين شهيد ، وانه مقتول ، فكان واحدهم يخشى ان يقع القضاء وهو حي ، فيقتحم صفوف الخصوم ، يتخطفهم بسيفه ويتخطفونه بسيفهم فيسجى في ساحة القتال شهيداً ، بامم الثغر ، مطمئن القلب ، ضاحك الوجه ، ان فدى الحسين نفسه ، ووقاه بروحه ، ورد عنه كيد خصومه ، ولو الى حين .

فلما استشهد اصحاب الحسين الاقلهم ، برز شباب بني هاشم بدورهم ، يدافعون عن والدم وعمهم وابن عمهم ونسيبهم ، بقلوبهم وصدورهم ، وكان علي الاصغر بن الحسين رضي الله عنهما ، من اصبح الناس وجهاً ، واكلهم ادباً ، فتقدم للقتال قبل غيره ، وهو ما يزال في التاسعة عشرة من عمره ، فشد على الجيش وهو يقول :

انا علي بن الحسين بن علي فحن ورب البيت اولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

فعل ذلك مراراً ، يحمل فيرند من امامه من شدة حملته ، حتى
صدمه مرة بن منقذ العبدي فطعنه فصرعه ، وقطعه القوم بسيوفهم ،
فلما رآه الحسين قال :

- قتل الله قوماً قتلوك يا بني ، ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك
حرمة الرسول ، على الدنيا بعدك العفاء .

واقبل الحسين الى ابنه ، واقبل فتبانه اليه ، فقال احملوا اخاكم
فحملوه من مكانه حتى وضعوه بين بدوي الفسطاط ، الذي كانوا
يقاتلون امامه ، وخرجت زينب اخت الحسين ، وهي كأنها الشمس
فقال : يا اخياه وابن اخياه ، واكبت عليه فجاءها الحسين وردها
الى الفسطاط

فكان علي اول قتيل من بني ابي طالب يومئذ .

ثم تابعت قتلى بني هاشم فسقط عبد الله بن مسلم بن عقيل ،
وعون بن عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر ، وعبد
الرحمن بن عقيل بن ابي طالب ، وجعفر بن عقيل

ثم خرج القاسم بن الحسن بن علي ويده السيف ، وهو غلام
كان وجهه شقة فخر ، فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدي
فضرب رأسه بالسيف ، فسقط القاسم الى الارض لوجهه وهو

يقول : يا عماء

فانقض الحسين عليه كالصقر ثم شد شدة ليش غضب ، وضرب
 عمراً بالسيف فانقاه بالساعد فقطعها من المرفق .
 وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمراً فاستقبلته بصدورها ،
 وجالت عليه بفرسانها فوطئته حتى مات .
 وانجلت الغبرة والحسين واقف على رأس القاسم ، وهو يفضح
 برجليه ، والحسين يقول :

— بعداً تقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك .
 ثم قال : عز والله على عمك ان ندعوه فلا يجيبك ، او يجيبك
 فلا ينفك ، هذا يوم كثر واتره وقل ناصره ، ثم احتمله على صدره
 حتى القاه مع ابنه علي ومن قتل معه من اهل بيته .

ثم جلس الحسين امام الفسطاط ، فأتى بابته عبد الله وهو طفل
 فاجلسه في حجره ، فرماه رجل من بني اسد بسهم فذبحه ، فتلقي
 الحسين دمه في كفه ، ولما امتلأ كفه صبه في الارض ، ثم حمله
 حتى وضعه مع قتلى اهل بيته

ورمى عبد الله بن عقبة ، ابا بكر بن حسن بن علي
 بسهم فقتله

ولما رأى العباس بن علي كثرة القتلى في اهله ، قال لآخونه
 من امه وهم عبد الله وجعفر وعثمان : تقدموا حتى اراكم قد نصحتكم لله

ورسوله

وتقدم عبدالله فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل ، وتقدم
بعده جعفر بن علي فقتل ، ثم قتل عثمان بن علي ، وحمل عليه رجل
من بني ابان بن دارم فاحتز رأسه ، ورمى رجل من بني ابان ايضاً ،
محمد بن علي بن ابي طالب فقتله

وخرج غلام من آل الحسين من خباء من تلك الاخبية وهو
ممسك بعود من عيدانه وهو ينظر كأنه مذعور ، فحمل عليه
رجل قيل انه هاني بن ثبيت الحضرمي فقتله

واشدد عطش الحسين ، فدنا من الفرات ليشرب وبين يديه
اخوه العباس ، فاعترضته خيل ابن سعد ، وفيهم حصين بن غير فرمى
الحسين بسهم فوقع في فمه فانزعه الحسين وجعل يتلقى الدم بيديه
فامتلات راحته من الدم ، فرمى به الى السماء

ثم رجع الحسين الى مكانه واشتد به العطش ، واحاط القوم
بالعباس فاقتطعوه عنه فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل ، بعد ان اتخن
بالجراح فلم يستطع حراكاً .

ولما رجع الحسين الى فسطاطه تقدم اليه شمر بن ذي الجوشن
برجاله ، منهم ابو الجنوب واسمه عبد الرحمن الجعفي ، والقشعم بن عمرو
ابن يزيد الجعفي وصالح بن وهب اليزني وسانان بن انس التخمي
وخولي بن يزيد الاصبحي ، وجعل شمر يجرضهم على الحسين وهو

يحمل عليهم فينكشون عنه ، ثم انهم احاطوا به فاسرع اليه رجل
من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف ، وكان
عليه قلنسوة فقطعها وادى رأسه ، وامتلات القلنسوة دماً ، فالتقى
القلنسوة وشد رأسه بخرقة ولبس قلنسوة اخرى واعتم عليها
واقبل الى الحسين عبدالله بن الحسن بن علي وهو غلام لم يراهق
فقام الى جنبه وقد اهوى بجر بن كعب الى الحسين بالسيف
فقال الغلام :

— يا ابن الخبيثة انقتل عمي ؟

فضربه بالسيف فافتقاه الغلام بيده ، فقطعها الى الجلد ، فصرخ
الغلام فاعتنقه الحسين وقال له :

— يا ابن اخي اصبر على ما نزل بك فان الله يلحقك بآبائك

الطاهر بن

واطلق الحسين بصره الى السماء يناجي الله قائلاً :

« اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنهم بركات الارض ،
اللهم فان متعتهم الى حين ، ففرقهم فرقاً واجعلهم طرائق قددا ، فانهم
دعونا لينصرونا ، فعدوا علينا وقتلونا »

ثم قاتل من امامه فانكشفوا عنه وبقي الحسين في ثلاثة
رهط او اربعة

ولما قتلوا بقي الحسين وحده وقد اثنى بالجراح في رأسه وبدنه

حمل الناس عليه عن يمينه وشماله ، فحمل على الدين عن يمينه ،
فتفرقوا ، ثم حمل على الدين عن يساره فتفرقوا فإرومي رجل
قط ، قتل ولده واهل بيته واصحابه ، اربط جاشاً ، ولا امضى جناحاً
ولا اجراً مقدماً منه ، اذ كانت الرجالة لتكشف عن يمينه
وشماله ؟ كما شد عليها

وينما هو كذلك اذ خرجت زينب وهي تقول : ليت السماء
انطبقت على الارض ونظرت الى عمر بن سعد فقالت : يا عمر ، ابقلي
ابو عبد الله وانت نظري ؟

فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته ؟ وصرف
وجهه عنها .

والحسين يقاقل قتال الفارس الشجاع ، بتقي الرمية ، ويشد
على الخيل وهو يقول :

— اعلى قتلي تجتمعون ، اما والله لا تقتلون بعدي عبداً من
عباد الله اسخط عليكم قتله مني ، وايم الله اني لارجو ان بكرمني
الله بهوانكم ؟ ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون
ومكث طويلاً ولو شاء الناس ان يقتلوه لقتلوه ؛ ولكنهم
كان بتقي بعضهم بعض ، ويجب هؤلاء ان يكفيهم هؤلاء ، فلما
رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن استدعى الفرسان فصاروا في
ظهور الرجالة وامر الرماة ان يرموه ، فرشقوه بالسهام فاحجم عنهم

فوقفوا بازائه ، فنادى شمر في الناس :

- ويحكم ، ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه نكتكم
امهاتكم

فحملوا عليه من كل جانب ، وضربه زرعة بن شريك التميمي
على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبا منها لوجهه
ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكيو ؛ وحمل عليه في تلك الحال سنان
ابن انس النخعي ، فطعنه بالرمح فصرعه ، وبدر اليه خولي بن يزيد
الاصبجي فنزل ليحتز رأسه ، فارعد

فقال له سنان : فت الله في عضدك ، ونزل اليه وذبحه ، واحتز
رأسه ثم دفعه الى خولي

وفي «المفيد» انما قال ذلك شمر وهو الذي نزل فذبحه ، ثم
دفع رأسه الى خولي بن يزيد

وسلب القوم الحسين ما كان عليه وتركوه مسجى في العراء
وانتهب الناس حمله وابله واثقاله ومشاعه ، وسلبوا نساءه ، حتى
ان كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها ؛ حتى تغاب عليه
فيؤخذ منها ، ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون
ضربة غير الزمية .

وكان سويد بن ابي المطاع قد صرع فوقع بين القتلي مشخناً
فسمعهم يقولون قتل الحسين ، فوجد خفة فوثب ومعه سكين وكان

سيفه قد اخذها فقاتلهم بسكينه ساعة ثم قتل ، و كان آخر قتيل .
 ثم انتهوا الى علي بن الحسين زين العابدين وهو مريض شديد
 المرض منبسط على فراش ، فاراد شمر قتله ، فقال له حميد بن مسلم
 - سبحان الله ايقتل الصبيان ؟
 و كان مع شمر جماعة من الرجال فقالوا له : لا نقتل هذا
 العليل ، ثم جاء عمر بن سعد فحصى النساء وحفظهن من
 الاعتداء ^(١)

كان عدد من قتل من اصحاب الحسين رضي الله عنه اثنين وسبعين
 رجلا ، منهم من اهل بيته اخوته العباس وعبد الله وجعفر وعثمان امهم ام البنين ،
 وعبد الله وابو بكر امها ليلى بنت مسعود الثقفية ، ومحمد ام ولد ، وابناء
 علي وعبد الله ، وبنو اخيه الحسن وهم القاسم وابو بكر وعبد الله ، وابنا عبد
 الله بن جعفر وهما محمد وعون وبنو عقيل بن ابي طالب وعبد الله بن مسلم
 بن عقيل .

وقتل من اصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى
 و كان عمر الحسين يوم قتل خمسا وخمسين سنة وقيل احدى وستين
 وقيل غير ذلك والاول الاصح والارجح .
 و كان قتله يوم عاشوراء اي العاشر من محرم سنة احدى وستين للهجرة
 بعد صلاة الظهر .

ولما قتل الحسين ارسل عمر بن سعد رأسه من يومه الى ابن زياد وامر
 بروه وس اصحابه واهل بيته فقطعت وكانوا اثنين وسبعين كما قدمنا فسرحتها
 مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس
 وقد سار هو لاه بروه وس الشهداء محمولة على الرماح

وكل عمر بن سعد بالقسطنطين وبيوت النساء وبعلي بن
الحسين، جماعة ممن كانوا معه، لئلا يتقدم احد اليهم بالاساءة، ثم عاد
الى مضربه فنادى من يتدب الى الحسين فيوطئه فرسه، فانتدب
عشرة انفسهم، فدا سوا جسد الحسين رضي الله عنه، بنجيوهم حتى
رضوا ظهره وصدرة.

وكان النهار قد انتهى او كاد، والشمس قد اختفت خلف
غمامة، وهي تأتي ان ترى وجه الارض ما بقي من ذلك اليوم بقية^(١)



(١) لما رحل عمر بن سعد خرج قوم من بني اسد كانوا نزولاً بالقرب
من مكان الواقعة، الى الحسين واصحابه فصلوا عليهم، ودفنوا الحسين رضي الله عنه
قال المقيد: وقبره اليوم حيث دفنه هو لاء، ودفنوا ابنه علي بن الحسين
عند قدميه، وحفروا للشهداء من اهل بيته واصحابه الذين صرعوا حوله مما
بيلي رجلي الحسين وجمعهم فدفنوا جميعاً معاً، ودفنوا العباس بن علي في
في موضعه الذي قتل فيه علي طريق الغاصرية.
اما رأسه فاختلف الرواة في مكان دفنه فبعضهم يقول في دمشق، وبعضهم
يذهب الى انه ارسل الى المدينة وغيرهم يقول غير ذلك

كأنه علم في رأسه نار

جلس ابن زياد في قصر الامارة واذن للناس اذناً عاماً ، والرأس الشريف موضوع في طسط بين يديه ، ينظر اليه ككرة ، ويبتسم له اخرى ، ويده قضيب ينكث به ثناياه فترة بعد فترة وقد بقي في روعه انه ملك البلد ، ووطد الامر ، وقطع المعارضة .

وكان الى جانبه زيد بن ارقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ كبير ، فلما رآه لا يرفع قضيبه قال :

— ارفع هذا القضيب عن هاتين الشفتين فوالذي لا آله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما .

ثم بكى

فقال له ابن زياد : ابكي الله عينيك ، فوالله لولا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك

فخرج الشيخ وهو يقول : انتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة ، وامرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم

ودخلت زينب اخت الحسين ومن معها علي ابن زياد^(١) متكررة
وعاينها ارث ثيابها ، فجلست ناحية من القصر ، وحفت بها اماؤها
فقال عبيد الله : من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها
نساءها ؟

فلم تجبه ، فقال ذلك ثلاثاً ، وهي لا تكلمه ، حتى قالت احدى
اماؤها :

— هذه زينب ابنة فاطمة ، بنت رسول الله (صلى الله
عليه وسلم)

فقال ابن زياد : الحمد لله الذي فضحككم ، وقتلكم واكذب
احدوئتكم

فقات زينب : الحمد لله الذي اكرمنا بنيه ، وطهرنا
من الرجس نظميرا ، انما يفضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ،

«١» اقام عمر بن سعد بعد قتل الحسين رضي الله عنه يومين في كربلاء
ثم ارتحل الى الكوفة وحمل معه بنات الحسين واخواته ومن كان معه من
الصبيان وعلي بن الحسين رضي الله عنها مريض ، فلما اجتازوا بهم على مكان
المركة ، وجسد الحسين الشريف مسجى في العراء ، صاح النساء وصاحت
زينب اخته : « يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين في العراء
عومل بالسماء ، مقطعم الاعضاء وبنائك سبانيا ، وذريتك مقتلة »
وبكت ، فبكي الناس لبكائها ، واحتاج الناس لاهتياجها ، واحس القوم
بهول ما فعلوا وعظيم ما اكشبوامن الاثم والعدوان

وهو غيرنا والحمد لله .

فقال : كيف رأيت صنع الله باهل بيتك ؟

قالت : كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله

بينك وبينهم ، فتختصمون عنده

فغضب ابن زياد و : قال قد شفى الله نفسي من طغيثك والعصاة

المردة من اهل بيتك .

فبكت زينب رضي الله عنها وقالت : لعمرى لقد قتلت

كهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثت اصلي ، فان يشفك هذا

فقد اشتفيت

فقال : هذه سجاعة ، لعمرى لقد كان ابوها سجاعاً

شاعراً

فقلت : ما للمرأة والسجاعة ، ان لي عن السجاعة لشغلاً

واطلق ابن زياد نظره في هذه السبايا من حفدة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فابصر علياً بن الحسين فقال له : من انت ؟

فقال : علي بن الحسين

فقال ابن زياد : او لم يقتل الله علي بن الحسين ؟

فقال : كان لي اخ يسمى علياً قتله الناس .

فقال ابن زياد : ان الله قتله

فقال علي بن الحسين : ان الله يتوفى الانفس حين موتها ، وما
كان لنفس ان تموت الا باذن الله .

فغضب ابن زياد وقال : وبك جرأة لجوابي

ثم قال : اني لا اظنه قد ادرك فاذهبوا به واضربوا عنقه .

فتعلقت به زينب عمته وقالت :

— يا ابن زياد حسبك منا ، اما رويت من دماننا

واعتنته وقالت : والله لا افارقه ، فان قتلته فاقتلني معه

ولما رأى ابن زياد ذلك منها تركه ، وقال :

دعوه لما به .

وقام ابن زياد من مجلسه فمشى الى المسجد ونادى الصلاة جامعة

فاجتمع الناس فصعد المنبر فخطبهم ، وقال :

« الحمد لله الذي اظهر الحق واهله ، ونصر امير المؤمنين

يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن

علي وشيعته »

فوثب اليه عبد الله بن حنيف الازدي - وكان ضريباً أقدم

ذهبت احدى عينيه يوم الجمل مع علي ، والثانية بصفين معه ايضاً ،

وكان لا يكاد يفارق المسجد يصلي فيه الى الليل ثم ينصرف -

فقال :

يا ابن مرجانة ، أتقتل أبناء النبيين وتقوم على المنبر مقام
الصديقين ، ان الكذاب انت وابوك والذي ولاك وابوه .
فقال ابن زياد : عليّ به .

فاخذته الجلاوزة ، فنادى بشعار الازد : « يا مبرور » فوثب
اليه فتية من الازد ، فانتزعوه ، ولما كان الليل ، ارسل اليه من اتاه به
من بيته ، فقتله ، وامر بصلبه ، فصلب .

ولما اصبح ابن زياد امر برأس الحسين رضي الله عنه فطيف
به على رمح في الكوفة ، ثم انفذوه مع رؤس اصحابه الى يزيد
ابن معاوية ، وامر بنسائه وصبياناه ، فجهزوا وحملوا على الاقتاب ،
وسرح بهم الى دمشق ، وعلي بن الحسين مقيد مقلول اليدين .
فلما مثلوا بين يدي يزيد وامامه الرأس الشريف ، تطاولت
فاطمة وسكينة ابنتا الحسين رضي الله عنهم ينظران الى الرأس
والدموع هائلة ، والافئدة واجمة ، والقلوب مضطربة ، واحس
يزيد بذلك ، فاضطرب وجعل بتطاول بدوره ليستر الرأس عنهما
وراح يحاول تهدئة روعهما مبرراً نفسه قائلاً : ان ذلك كان بغير
علمه ، ولو كان الامر معه لعفى وصفح ، وحلم وسجح ^(١) ولما دخل
عليه علي بن الحسين مقلولاً امر بفك غله وقال له :

(١) امر يزيد عامله بقطع رأس الحسين «اليعقوبي جلد (٢)

— ايه يا ابن الحسين ابوك قطع رحمي ؛ وجهل حقي ونازعني
سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت
فقال له علي رضي الله عنه : كل مصيبة مسطورة في كتاب الله
وتلا الآية :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله
لا يحب كل مختال فخور »

ثم امر يزيد بانزاله وانزال النساء في دار علي حدة تتصل بداره
ولما لبث اياماً حتى اوفدهم الى المدينة ، بعد ان جهزهم بما يصلحهم ،
وارسل في خدمتهم بعض رجاله ، وامرهم بالمحافظة عليهم والتلطف
في خدمتهم ورعايتهم ، وعوض عليهم ما فقدوه في المعركة ، وما
سلبه منهم جماعة ابن زياد ، ذلك الفاجر الذي مزق الوحدة
الاسلامية وجعلها شيعاً ، مما لا نزال نرى آثاره ظاهرة حتى
يوماً هذا .

ولقد استعظم نساء يزيد فعلته ، واستكبر هو نفسه الامر ،
وكانت قد صفت حال ابن زياد عنده لما وصل رأس الحسين ، ووطن
انه قد حسنت له ملكه ، وذلك له الرقاب ، فلم يلبث الا يسيراً حتى
بلغه بغض الناس له ولعنه اياه ، فقدم على قتل الحسين وراح يقول :
« ما علي لو احتملت الاذى ، وانزلت الحسين معي في دارية ، »

وحكمته فيما يريد ، وان كان علي في ذلك وهن في سلطاني ، حفظاً
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورعاية لحقه وقرابته ، لعن الله ابن
 مرجانة ، فانه اضطره ، وقد سأله ان يخلي سبيله ويرجعه فلم يفعل ،
 او يضع يده في يدي ، او يلحق بشفر حتى يتوفاه الله ، فلم
 يجه الى ذلك وقتله ، فبغضني بقلبه الى المسلمين ، وزرع في قلوبهم
 العداوة والبغضاء »

ومما يجب ان يصار الى ذكره في هذا الباب ما ظهر من زينب
 بنت فاطمة واخت الحسين صلوات الله عليهم من جرأة وثبات
 جأش ، في موافقتها هذه يوم المعركة ، وعند ابن زياد ، وفي قصر
 يزيد ، فانها لما مثلت وعيال الحسين عليه السلام امام يزيد ، قام
 رجل من اهل الشام وطلب من يزيد ان يهب له فاطمة بنت علي
 رضي الله عنه - ويقول المفيد انه طلب فاطمة بنت الحسين -

فاخذت هذه بثياب عمته زينب ، فقالت زينب للشامي :

- كذبت ولوئمت ، ما ذلك لك ولا له

فغضب يزيد وقال :

- كذبت ؟ ان ذلك لي ، ولو شئت لفعلت .

قالت : كلا والله ما جعل الله لك ذلك ، الا ان تخرج من

ملتنا وتدين بغير ديننا .

فاستطار يزيد غضباً وقال :

- اياي تستقبلين بهذا ؛ انما خرج من الدين ابوك واخوك .
 قالت زينب : بدين الله ودين اخي وجدي اهتديت ، انت
 وابوك وجدك .

فقال يزيد : كذبت يا عدوة الله .

قالت : انت امير نشتم ظالماً وتقهّر بسطانك .

فاستحى يزيد وسكت عنها

تولى على المدينة ذهول عميق ، وروعة عظيمة ، لما استطار الخبر
 بين اهلها بمقتل الحسين وكثير من اهله ، فصاح نساء بني هاشم ،
 وخرجت ابنة عقيل بن ابي طالب ومعها نساؤها حاسرة نصيح
 ونبيكي وتقول :

ماذا نقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
 بعترتي وباهلي بعد مقتديي منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم
 ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
 فلما سمع عامل يزيد على المدينة عمرو بن سعد اصواتهن ضحك
 وصعد المنبر فاعلم الناس بمقتل الحسين^(١)

ولما بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابنه ، استرجع ، فدخل عليه

«١» قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعد بعد ذلك قتلة فظيمة

بعض مواليه والناس يعزونه فقال :

- هذا ما اقمينا من الحسين

فحذفه ابن جعفر بنعله وقال :

- يا ابن الاخفاء ، أالحسين تقول هذا ؟ والله لو شهدته

لاحببت ان لا افارقه حتى افتل معه ، والله انه لما يهون علي المصاب

بهما انها اصيبا مع اخي وابن عمي ، مواسيين له صابرين معه ، وان

لم تكن آست الحسين بدني ، فقد آساء ولدادي

اما قتلة الحسين رضي الله عنه ، فقد نواترت الاخبار بانه لم ينج

احد منهم ، فممنهم من قتل ، ومنهم من جن ، ومنهم من اصيب بيلاب

افتضح به قبل موته .

وروى ابن الجوزي ^(١) عن الزهري فقال :

- ما بقي احد منهم الا وعوقب في الدنيا ، اما بالقتل او بالعمى

او سواد الوجه ، او زوال الملك في مدة يسيرة

وقال ابن تيمية ^(٢) : اما قول الزهري : « ما بقي احد من

قتلة الحسين ، حتى عوقب في الدنيا فهذا ممكن ، واسرع الذنوب

عقوبة البغي ، والبغي على الحسين من اعظم البغي

«١» تذكرة خواص الامة صفحة ١٥٨

«٢» منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٣٥٠

وقال ابن كثير^(١) :

« واما ما روي من الامور والفتن ، التي اصاب من قتله
فأكثرها صحيح ، فقل من نجا منهم في الدنيا الا اصاب بمرض
واكثرهم اصابه الجنون

ولما وثب المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة ، واستتب له
الامر ، قتل من قتلة الحسين ، او ممن كان في الجيش الذي ذهب
لمحاربتة مائتان واربعون رجلاً في يوم واحد ، وكان عمرو بن
الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين فهرب ولا يعلم اين ذهب ،
ويقال ادركه اصحاب المختار فذبحوه

وهرب شمر بن ذي الجوشن فلحقه جماعة المختار وقتلوه
وتتبع المختار قتلة الحسين ، فكانوا يوثقون حتى يوقفوا
بين يديه ، فيأمر بقتلهم انواعاً من القتلات بما يناسب ما فعلوا ، منهم
من احرقه بالنار ، ومنهم من قطع اطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم
من رمي بالنبال حتى مات .

وبعث المختار الى خولي بن يزيد الذي رام ان يحتز رأس
الحسين في المعركة ثم حمله الى ابن زياد ، فحملوه اليه
بعد ان انتزعوه من مخبأه ، فأمر بقتله ثم احرقه ، حتى عاد

زماًداً .

وفعل مثل ذلك بكثيرين ممن شهدوا مقتل الحسين ؛ وحلوا
سيفاً ، وقاتلوا اصحابه ، فقتلهم جميعاً ، ثم قتل عمر بن سعد قائد جيش
ابن زياد واتبعه بائنه .

وكان المختار اذا طلب شخصاً من الذين شهدوا مقتل الحسين
ولم يعثر عليه - لان بعضهم تمكن من الهرب الى البصرة - امر
بهدم داره واحرقها .

ثم بعث المختار ابراهيم بن الاشتر لقتال عبد الله بن زياد ،
واخرج معه فرسان اصحابه واهل البصائر والتجربة ، وكان ابن
زياد قد سار في عسكر عظيم من اهل الشام ؛ فلما التحم الجيشان
تمكن ابن الاشتر وجيشه من اصحاب ابن زياد فهزموهم وقتل ابن
زياد في المعركة ، قتله ابن الاشتر بضربة سيف فقطعه نصفين ،
فاحتزوا رأسه وروؤوس اصحابه امثال الحصين بن نمير ، وشرحبيل
ابن ذيب الكلاع وغيرهم وارسلوها مع بشائر النصر الى المختار
في الكوفة .

فلما انتظمت الزووس بين يديه بعث برأس ابن زياد وعمر بن
سعد الى علي بن الحسين رضي الله عنهما

فلما القيت الروءوس بين يديه خر ساجداً ؛ وقال : « الحمد
 لله الذي ادرك لي نأريه من اعدائي »

وكذلك اهلك الله سبحانه وتعالى كل من شهد مقتل
 الامام الحسين رضي الله عنه ، او رفع رماً في حربه ، او ضرب بسيف
 في قتاله .



في سبيل الوحدة الاسلامية

لقد انتهيت من كتابي هذا ، وكل شيء حولي هادي ، مطمئن
ولولا رياح الجوع التي تعصف حول غرفتي ، لغمرني موضوع كتابي
هذا ، وانساني من حولي من الناس

ان في كل ما بسطته من سيرة الامام «الشهيد» ما يدفع الى
الثورة النفسية ، ويستثير عواطف الغضب والغيظ ، ويبعث المؤرخ
على التساؤل ، فيما اذا لم يكن بين رجالات الاسلام ، في هذا
العصر الذي توفرت على وصفه ، من يتفهم الموقف ويطفيء هذه
النار التي استطارت في كربلاء فغمرت الاسلام من اقصاه الى اقصاه
وراحت تمزق من وحدته ، وتمعن في التفرقة والحصومة بين ابناءه ،
ورجاله ؟

الم يكن هناك من ينتصف للحق ، ويدافع عن المظلوم ؟
أبدلت الارض غير الارض ؟ واصبح الناس وكأنهم ليسوا
من اولئك الذين كانوا لا ينامون على ضيم ، ولا يسكنون على
معصية ؟

ألم يكن في الاسلام عهد الامام الحسين الالهة العصابة
الصفيرة ، التي مشت تويده وتنصره وتدافع عنه ، منكورة ان
يكون الحكم الا للمسلم الصالح ، والامام العادل ، والخليفة
الطاهر ؟

ألم يكن هناك بين رجالات الاسلام من يعلم ان الحسين الذي
كأبكيديون له ، ويسعون به ، احرص من هؤلاء الذين دفعوهم
لقتاله وحر به على سلامة الاسلام والتمكين له في الارض ، واقدر
منهم على ذلك ، واحسن بلاء في حمايته والذود عنه ؟

ولكنها الاقدار أبت غير ما تبسطنا في وصفه ، فكان ما
كان من تمزق الشمل ، ونشتت الاهل ، وانقطاع الاسباب ، ومن
حق المسلمين بعد ذلك ان يفهموا هذا ويتدبروه ، وان يعلموا ان
الامام انما كان يجاهد في سبيل فكرة ويسعى لمبدأ ، وانه انما راح
يطلب بالخلافة لعلمه بانه احق بها ، واقدر على الخدمة فيها ، من
يزيد وغير يزيد ، وانه ابعده من ان يرضى بما وقع بعد ذلك من
انقسام وتفرقة ، وان الواجب يقضي عليهم جميعهم بلم شعنتهم ،
وجمع كلمتهم ، والاتفاق بدأ واحدة في سبيل الله ، وفي سبيل
محمد .

ولقد تكلفت انشاء هذا الكتاب ، وتكلفت ادارة المكتبة

الالهية طبعه ونشره ، وكل غايتنا ان نصور للملا من المسلمين
 والقراء ، صورة صادقة عن الحسين (صلوات الله عليه) وعهده ،
 وان نقص عليهم في ما سلف في فصول ، ما كان يضطرب في هذه
 الحياة من جهود ورغبة في الخدمة العامة ، واعلاء شأن الدين ،
 ورفع رايات الاسلام في ما يلي امصار العربية من اقطار وامصار ،
 وان نتولى بعد ذلك بالبحث والتدقيق حديث الشهادة ، ووقائع
 المعركة بالاصدق من الاخبار ، والاصح من الاقوال ، ثم نعرض
 للاسباب التي دعت الامام الحسين الى المسيره نحو الكوفة والتشهير
 الى العراق واهله ؟ وان نسوق القول في غايته ، وما كان
 يعتور في نفسه وبضطرب في فؤاده من رغبة صادقة في توحيد
 الكلمة ، ولم الشعث ، لان المسلمين عهد يزيد لم يكونوا صوتاً
 واحداً ، ولا كلمة واحدة في تأييد ملكه ، وتعزيد امارته ، ولو
 ولي الملك الحسين (رضي الله عنه) لكان موقفهم غير هذا ،
 ولا بدوه وصدقوه وعاهدوه وباعوه ؟ وهو ما حمل الامام الحسين
 على ترشيح نفسه ، ودفعه الى قبول مابعة الناس له واذا كان الامر
 كذلك فلا يصح والحالة هذه ان يضطرب المسلمون بعد الكارثة
 شيعاً ، وان يتقسموا سبلاً ، بل من الحق كل الحق ، ان يتوفروا
 على القيام بعهد الحسين الشهيد ، وان يعملوا لما كان يعمل ، من
 الوحدة والاخوة

وكل أملنا ان يلاقى كتابنا هذا ، ما يستحقه من
 تأييد ، وان يسير سبيله بين المسلمين موحداً صفو ففهم ، موء بدأ
 رغبة الامام في الوحدة ، عاملاً على اقرار رغائبه ومبادئه وما كان
 يعمل له ويسعى اليه .

انتهى الكتاب

مساء الاربعاء في ٢١ شعبان ١٣٥٣

خطأ مطبعي

وقع في كتابنا هذا بعض اخطاء مطبعية لا قيمة لها وقد رأينا
ان نشير الى بعضها ليصير اصلاحها قبل قراءة الكتاب:

صواب	خطأ	سطر	صفحة
واذا	إذا	١	٢٥
ولانه يؤيد ذلك وهذا ما كتبه	ولانه يؤيد ما كتبه	١١	٣٢
البئر اللعن	البئر العفن	١٩	١٠٤



فهرس الكتاب

صفحة فصل	صفحة فصل
جاسوس بن زياد ٧ ٦٣	مقدمة الكتاب ٥
مقتل رسول الحسين ٨ ٧٤	مصادر الكتاب ٩
في طريق الكوفة ٩ ٨٩	آل البيت والخلافة ١ ١١
ولما نراى الجيشان ١٠ ١٠٠	الامام علي بن ابي طالب ٣ ١٦
كرب - وبلاء ١١ ١١٨	معاوية بن ابي سفيان ٣ ٢٤
شهيد في العراء ١٢ ١٣١	الحسين بن علي ٤ ٣٥
كأنه علم في رأسه نار ١٣ ١٤٠	يزيد بن معاوية ٥ ٤٦
في سبيل الوحدة العربية ١٤ ١٥٢	كتب ورسل من الكوفة ٦ ٥٣

للمؤلف

الكتب المطبوعة

تاريخ سورية ولبنان حتى اوائل القرن التاسع عشر
 في القرن التاسع عشر
 في دولة الادب والبيان
 رجال الجمهورية
 كتاب في النقد والادب والوصف
 لبنان ١٩٢٦ - ١٩٢٣

هرون الرشيد
 تيمور لنگ
 فيصل ملك العراق
 الامير عبد الكريم
 ماذا يجب ان تعرف عن محمد والاسلام مترجم عن الافرنسية
 محمد النبي العربي
 خالد بن الوليد
 ابو بكر الصديق
 الحسين بن علي حفيد رسول الله

حسن
 قصة عربية شرقية
 الروايات البوليسية الوطنية
 مجموعات البوليس في ثلاث مجلدات

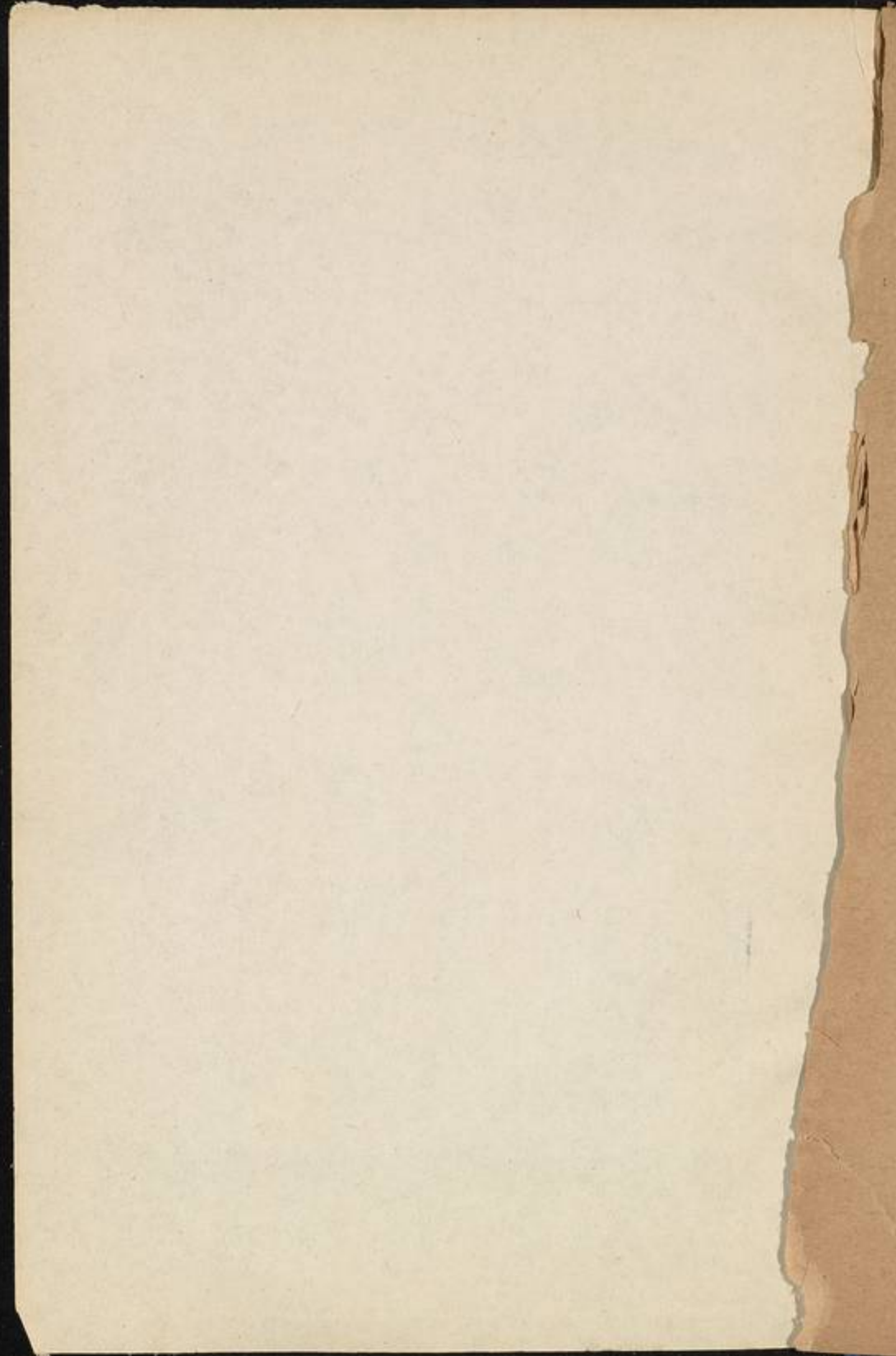
اسماء مطبوعات - المكتبة الاهلية

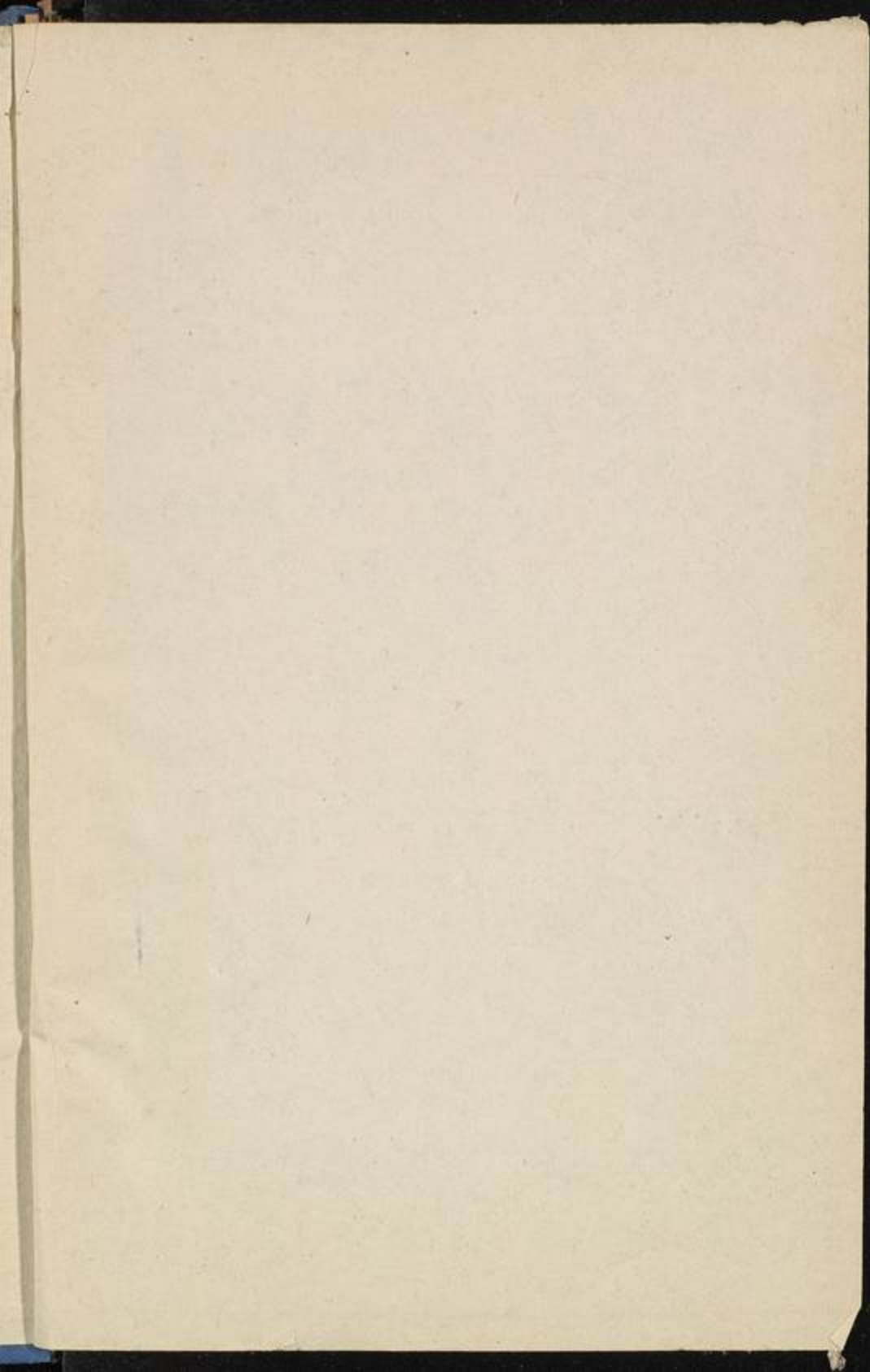
في بيروت (مرتبة على حروف الهجاء)

١٩	الدروس العربية	ثانية	١	ابن سعود
٢٠	== ==	ثالثة	٢	ابو بكر الصديق
٢١	== ==	رابعة صرف	٣	الاسلام روح المندنية
٢٢	== ==	== نحو	٤	بلوغ الارب في احوال العرب
٢٣	دروس الفقه		٥	تحت راية القرآن
٢٤	ديوان عمر بن ابي ربيعة		٦	تيمورلنك
٢٥	ديوان الرصافي		٧	الثريا المضية
٢٦	ديوان الفرزدق		٨	خالد بن الوليد
٢٧	== جميل بثينة		٩	دروس التاريخ الاسلامي اول
٢٨	== ذي الرمة		١٠	== == نان
٢٩	== امية بن ابي الصلت		١١	== == ثالث
٣٠	== النابغة الذبياني		١٢	== == رابع
٣١	رجال المعلقات العشر		١٣	== == خامس
٣٢	سفينة نوح		١٤	دروس الدين والاخلاق
٣٣	سيف الدولة (رواية)		١٥	دروس الصرف والنحو اول
٣٤	العروة الوثقى		١٦	== == نان
٣٥	عظة الناشئين		١٧	الدروس العربية - علم
٣٦	غابر الاندلس وحاضرها		١٨	== == اولى

٤٧ محمد النبي العربي	٣٨ غرائب الغرب جزآن
٤٨ محمد رسول الهدى والرحمة	٣٨ الفاروق عمر بن الخطاب
٤٩ محمد والمرأة	٣٩ فحول الشعراء
٥٠ مصطفى كمال المثل الاعلى	٤٠ فيصل ملك العراق
٥١ النبوغ	٤١ كشكول جمال اول
٥٢ نخبة من الكلام النبوي	٤٢ ثان = =
٥٣ نظرات في السفور والحجاب	٤٣ ثالث = =
٥٤ نظرات في اللغة والادب	٤٤ كليلة ودمنة (مصورة)
٥٥ هرون الرشيد	٤٥ لباب الخيار في سيرة المختار
	٤٦ ماذا يجب ان نعرف عن محمد والاسلام

للمكتبة (بيانات) - قائمة - نشره في كل عام
لقرسله - مجاناً - الى من يطلبه





JUN 1 1953

893.7H955

DA

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58873759

893.7H955 DA

Husayn ibn Ali : haf